

الاسلام والحضارة

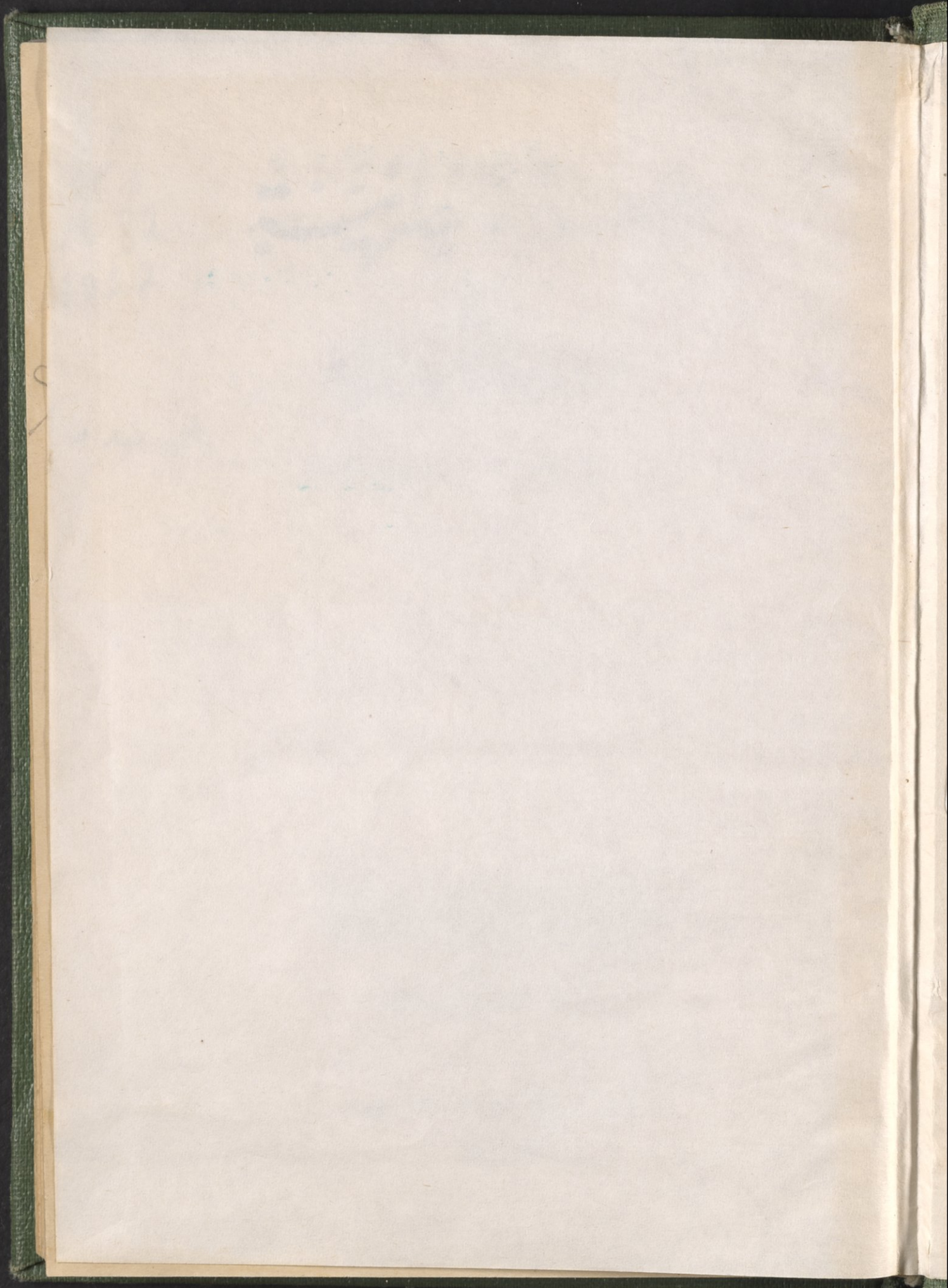
AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 00855 4168

BI
14
19



FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الامريكية بالقاهرة



FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

مكتبة
الجامعة الأمريكية بالقاهرة

BP
163
M 82
1922

الاسلام والنصرانية

مع

العلم والمدنية

محمد عبده

بقلم حكيم الاسلام . الاستاذ الامام

الشيخ محمد عبده

قدس الله روحه

وهي مقالات نشرت في مجلة « المنار » الاسلامي

لصاحبها

السيد محمد رشيد رضا

حقوق الطبع محفوظة له

الطبعة الثالثة بمطبعة المنار بمصر

سنة ١٣٤١

﴿ مقدمة ناشر الكتاب ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢١٠
١٠٤٣

« ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ. إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ
سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ »

ظهرت في العالم مدنيات ثم خفيت ، ودرست فيها العلوم
والفنون ثم درست ، وصلحت أحوال الاناسي ثم فسدت ، وطلعت
فيهم أقمار الهداية الدينية ثم خسفت ، ولم يزل الناس في قيام وعود ، وهبوط
وصعود ، والامم في تلاش وفناء ، ونشوء وارتقاء ، حتى استعد المجموع
في جملة للرقي العام ، فمنحه الله تعالى دين الاسلام ،
جاء الاسلام والعالم كله في تأخر من جميع الوجودات والجهات - من جهة
الدين ، من جهة العلم ، من جهة المدنية ، من جهة السياسة ، فلم يمر قرن
واحد حتى جدد للعالم كله ديناً قيماً ، وعلماً محكماً ، ومدنية سعيدة ، وسياسة
رشيدة ، ونشر ذلك كله في مشارق الارض ومغاربها بقوة الحق ،
وسرعة البرق ، فتغير به وجه الارض ونفخ في الانسان روحاً جديداً
أعطاه من جراثيم الحياة ما لا يقبل الفناء ، مادامت الارض والسماء (١)
(١) بينا ان أركان الاصلاح الاسلامي غير قابلة للهدم في مقالات

ينبوع تفجر في أرض وفاض ماؤه على غيرها، فأحيا الأرض بعد موتها
ولكن القائمين على حراسته وتعاهده وضعوا فوقه أنقاضاً من خرائب
جيرانهم فغيض الماء وما بقي منه صار مسنقعات تجتوى، لم يلبث
بعد ما غاض أن فاض منه شيء في مواضع أخرى فانتفع أهلها به
وحافظوا عليه، ولكن الأكثرين منهم لا يعرفون من أين جاءهم كما
إن أكثر أهل ينبوع المنتسبين إليه بالاسم لا يعرفون أن ذلك الماء
الذي تفجر في تلك المواضع فأنشأ أهلها به حدائق ذات بهجة هو
من ماء ينبوعهم، وأنهم لو أزالوا عنه تلك الانقاض لفاض ورجع
اليهم به خصبهم ونماؤهم كاحسن ما كان، إذا هم تعلموا من غيرهم كيف
يستخدم الماء للأحياء

ذلك مثل المسلمين اليوم مع الأمم الغربية الحية الراقية: أخذ
الغربيون من الإسلام كل أصول الإصلاح الذي هم فيه، وهم يقولون
إن الإسلام عقبة في طريق كل إصلاح. يقولون للمسلمين إن ماءنا
متعددة نشرناها في مجلدات المنار كمقالات «الإصلاح الديني» والمقالة
التي فاتحتها «وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصاحون»
ومقالات «سلطة مشيخة الطرق الروحية» وفيها الكلام على تقييد
الإسلام السلطتين السياسية والدينية وجعل الناس سواء. وكل هذاني
المجلد الأول. ومقالة «الجنسية والديانة الإسلامية» في المجلد الثاني
ومقالة (إعادة مجد الإسلام) ومقالات (مدنية العرب) في المجلد ٣ الخ
ومقالات «الحكومة الإسلامية والقضاء في الإسلام» في المجلد الرابع

صاف نقي يحيي البلاد والعباد، وماء كم آسن أجاج أحدث مستنقعات
 أهلكت الحرث والنسل . فكيف يستوي الماآن . وقد اختلف
 الاثران ؟ منهم من يقول هذا معتقدا ، ومنهم من يقوله منتقدا ،
 ونحن ساكتون عنهم ، لاننا جاهلون بأنفسنا وبهم

(ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من
 الطيب) ويظهر الحق من الباطل ، فتقوم الحججة على الجاهل بدينه
 ونفسه ، والمكابر لوجدانه وحسه (لعلمهم يتقون أو يحدث لهم ذكرى)
 فيرجعوا الى أصول دينهم وهو الاولى بهم والاحرى ، فقد أعدم
 بنوائب الزمان ، وصروف الحدثان ، لان يعترفوا بدينهم ، وينيبوا
 بالتدريج الى ربهم ، اذ ظهر فيهم علماء ربانيون ، وأطباء روحانيون ،
 يعرفونهم بحقيقة الداء ، ويصفون لهم الدواء ، وما طلب الانسان
 يلسان استعداده شيئا من مولاة ، إلا تفضل عليه به وأعطاه إياه (١)
 لهذا سخر الله للمسلمين حكما من الاعلام ، وإماما من أئمة
 الاسلام ، يطبّ لدائهم ، ويجمع ما تفرق من آرائهم ، وقد كتب في
 هذه الايام كتابة جليلة في العلم والمدنية ، بالنسبة الى الديانتين
 النصرانية والاسلامية ، رد فيها على أحد كتاب المسيحيين قوله : ان
 الممسيحية كانت أكثر تسامحا مع العلم من الاسلام ، وان الاسلام
 أكثر اضطهادا للعلم والفلسفة من النصرانية . وبين في آخر ما كتبه

(١) راجع مقالة «الاصلاح والاسعاد. على قدر الاستعداد» في

المجلد الرابع من المنار

حال المسلمين السوءى وعدم موافقتها لما تقتضيه طبيعة دينهم ، فبرأ
 الاسلام وسلفه من الملام ولكنه لم يبرىء المسلمين المتأخرين بل
 دلهم على حقيقة دائهم وهداهم الى طريقة معالجته والخروج منه باذن
 الله تعالى . ولعمري انه أنذر فأعذر، وبرئ من وعيد الكتمان (فن
 اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها)

الكاتب المسيحي هو (صيفنا) الفاضل صاحب الجامعة: وقد تكلم
 في المقابلة بين الدينين المسيحي والاسلامي بالنسبة الى العلم والفلسفة
 في ترجمة ابن رشد . وقد ساءت تلك الترجمة من قرأها من المسلمين
 لهذه المقابلة ولمسئلتين آخر بين أهمها عزو انكار الاسباب الى علماء
 الكلام ، والثانية ما تضمنته الترجمة من الحكم بكفر ابن رشد
 فيلسوف المسلمين الاكبر في الاندلس . وقد رد حكيمنا على الجامعة
 في كل ما أخطأت به من الكلام في فلسفة ابن رشد والمتمكلمين ،
 ومن المقابلة بين الديانتين ونشرنا ذلك كله في المنار .

فأما الكلام في فلسفة ابن رشد ومذهب المتكلمين فهو لا يكاد يفيد
 الا الخواص من العلماء والمتكلمين . وأما الكلام في المقابلة بين الدينين
 من حيث أثرهما في العلم والمدنية فهو يفيد العوام والخواص ، بل هو
 الشفاء لما في صدور الناس ، والضيء للباحثين في (حنادس) الحيرة
 والوسواس ، لهذا رأيت أن أجمعه في كتاب مستقل وأطبعه ليعم نفعه (١)

(١) قد بدا لنا أن نضيف الى هذه الطبعة ما رد به الاستاذ رحمه
 الله تعالى على مجلة الجامعة في فلسفة ابن رشد أيضاً لما بيناد في مقدمتها

واستأذنت الكاتب في ذلك فأذن فأنفذت ، وعلى الله توكلت .
وأحب أن يكون حظ كل مسلم من هذا الكتاب أن يجتهد في
الآخذ بأصول دينه المشروحة فيه ، وأن يقتدي بكرام سلفه في جدهم
واجتهادهم وسيرتهم مع المخالفين لهم في الاعتقاد ، ولا يكون حظهم
الافتخار بأن ديننا جامع لخيري الدنيا والآخرة ، وأن سلفنا كانوا
خير أمة أخرجت للناس ، وأن غيرنا ليس كذلك ، لأن كل هذا حجة
علينا لآلنا ، وهو لا يعني عنا شيئاً في دنيانا ولا في آخرتنا . « فبشر
عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب ،

محمد رشيد رضا

منشىء المنار



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القسم الاول في النصرانية

اضطهاد العلم والمدنية في النصرانية

قال الاستاذ الامام الحكيم

شرح انطون

ذكرت الجامعة في الجزء الثامن من السنة الثالثة في سياق الكلام على ماجرى لابن رشد أن للناس آراء في : هل الدين المسيحي أوسع صدرا في احتماله مجاورة العلم والفلسفة، أو أن الدين الاسلامي هو الارحب خلقا والاوسع حلما من الدين المسيحي في قبول أهل النظر في الكون اذا نزلوا بداره، ولاذوا بجواره؟ وذكرت أن للقائلين بتسامح الدين المسيحي مع العلم وأهله دون الدين الاسلامي أن فولتير ودبدر وورسو ورنان قالوا فيما يصاد الدين ما قالوا ولم يصابوا بضرر، وابن رشد لم يقل شيئا سوى أنه قرر ما قال أرسطو وأوضحه مع تصريحه بسلامة اعتقاده ومع ذلك أهين وبصق على وجهه . وللقائلين بسعة حلم الاسلام أن الاسلام لم يحكم باحراق أحد لمجرد الزيف في عقيدته وكم حكمت المسيحية بذلك ثم جعلت أهل الرأي الاول آخر من يتكلم وقالت : « فيرد

عليهم الاولون بقولهم : هل يجب أن يكون التسامح مع القريب فقط أم مع القريب والغريب معا ؟ ثم ألا تذكرون الحروب والفتن التي قامت بين شعوب المسلمين وحكامهم بسبب الاعتقادات الدينية فأضعفت أمتهم ، وفرقت كامنهم ؟ فهل يجوز أن تسموا محاربة شخص واحد وإعدامه (محاربة للإنسانية) ولا تسموا كذلك محاربة شعب لشعب وأمة لأمة « اه

ثم قالت الجامعة إنها لا تفصل بين القولين ، ولكنها فصلت فيهما فصلين ، الاول في قولها : « إننا نرى أن السلطة المدنية في الاسلام مقرونة بالسلطة الدينية بحكم الشرع لان الحاكم العام هو حاكم وخليفة معا وبناء على ذلك فان التسامح يكون في هذه الطريقة أصعب منه في الطريقة المسيحية فان الديانة المسيحية قد فصلت بين السلطتين فصلا بديعا مهد للعالم سبيل الحضارة الحقيقية والتقدم الحقيقي وذلك بكلمة واحدة « أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » وبناء على ذلك فان السلطة المدنية في هذه الطريقة اذا تركت للسلطة الدينية مجالا للضغط على حرية الافراد من أجل اعتقاداتهم الخصوصية فضلا عن قتلهم وسقي الارض بدمائهم البريئة فانها تجني جنائية هائلة على الانسانية، وعلى ذلك لا يكون في هذه الطريقة من التسامح أكثر مما في تلك اذا بدا منها نقص ولو كان هذا النقص أخذ من نقص شقيقتها لانه لا نقص أعظم من نقص القادر على التمام » والفصل

علم أرض عميوت الناس عيباً

لنقص القادر من كل التمام

الثاني في قولها . « ان العلم والفلسفة قد تمكننا الى الآن من التغلب على الاضطهاد المسيحي ولذلك نماغرسهما في تربة أوروبا وأينع وأثمر التمدن الحديث ولكنهما لم يتمكننا من التغلب على الاضطهاد الاسلامي وفي ذلك دليل واقعي على أن النصرانية كانت أكثر تسامحا » اهـ

﴿ الجواب الاجمالي ﴾

واني أعجل في الجواب بما يلاقي هذين الحكمين إجمالاً: أما الاول فان كان الانجيل فصل بين السلطتين بكلمة واحدة فالقرآن قد أطلق القيد من كل رأي بكلمتين كبيرتين لا كلمة واحدة . قال في سورة البقرة (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم) وقال في سورة الكهف (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)

وأما الثاني فأسأل الجامعة في جوابه : أين الاضطهاد الواقع على العلماء اليوم عند المسلمين ؟ وأين أولئك العلماء المضطهدون ؟ وأريد بالعلماء أولئك الذين يساؤون من ذكرتهم من فولتير وديدرو وروسو واثاهم . وكيف ساغ لها أن تقول ما تقول وهي في أرض مصر ومصر بلاد اسلامية وحالها كما ترى ؟ فاذا أرادت شاهدا على حال المسيحية والعلم فلتنظر بنظرها اليوم على أسبانيا ولتقف برهة من الزمان ثم لتحكم . يمكنها أن تعد من طلبة العلوم المسلمين مثين

في مدارس المسيحيين من جزويت وفزير وأميركان وهي مدارس دينية خصوصا مدارس الجزويت. فهل يمكنني أن أجد طالبا واحدا مسيحيا في مدرسة دينية اسلامية يباح الدخول فيها لكل طالب علم من أي ملة؟ لا نجد الا قليلا منهم في مدارس الحكومة لعلمهم أنها مدارس رسمية لم يقم ببناء تعليمها على الدين. فهل سمع أن والدا اضطهد لانه بعث بولده الى مدرسة مسيحية يديرها قسوس مسيحيون؟ ألا يعد هذا من تسامح الاسلام مع العلم اليوم؟^(١) لولا أن موضوع كلامي محدود باعتبار التسامح بالنسبة الى العلم والفلسفة وحدهما لذكرت لصاحب الجامعة انه يوجد في بلاده طائفتان تعد أحادهما بالالوف وتزعم كل منهما أن لها نسبة الى الاسلام وهي تعتقد بما لا يتطبق على أصل من أصوله حتى أصل التوحيد والتنزيه عن الحلول ولا تقول بفرض من فروضه المعلومة منه بالضرورة. وأجمع فقهاء الامة على أنهما من قبيل المرتدين والزنادقة لا تؤكل ذبائح أفرادهما ولا يباح لهم أن يتزوجوا من المسلمات وإنما اختلفوا في قبول توبة من تاب منهم، ومن العلماء من قال لا تقبل توبته. وهم مع ذلك عائشون بجوار المسلمين ومضى عليهم ما يزيد على تسعمائة سنة وقد كانوا تحت سلطان المسلمين

(١) مثله اشترك المسلمين في الجرائد المسيحية وعدم اشترك النصراني في الجرائد الاسلامية الا نادرا

والاسلام في أوج القوة . دخلوا في حكم الاتراك وهم هم أيام كان ملك فرنسا يستنجد بملكهم وكانت عساكرهم على أسوار فيينا . كان أولئك الذين يراهم المسلمون قد خرجوا من دينهم، وأسروا عقيدة تناقض عقيدتهم، قدظروا بأعمال تضاد أعمالهم وهم جيرانهم وتحت أيديهم وفي مكنتهم محوهم، ومع ذلك عاشوا الى اليوم ولهم أجرة وأصدقاء بين المسلمين . والمسلمين بينهم مصافون وأوداء ، فهل عهد مثل ذلك عند المسيحيين ؟

غير أن موضوع قولي محدود كما قلت فلا أخرج عنه وأراني نطقت فيه بكلامي الجملة . ولكن لا يكفي لبيان ما عرضت به الجامعة في قولها « هل يجب أن يكون التسامح مع القريب فقط أو مع القريب والغريب الخ » ولا لتحقيق الحق فيما حكمت به في حكمها الا تفصيل تعرض فيه حالة الدينين من العلم تحت نظر القارىء على وجه يمكن معه الحكم عن فهم ، ولا تلبس فيه الحقيقة بالوهم

﴿ الجواب التفصيلي ﴾

أرى الجامعة جاءت في كلامها بأربعة أمور آتى بها على حسب ترتيب النسق في تعبيرها . (الاول) ان المسلمين قد تسامحوا لاهل النظر منهم ولم يتسامحوا لمثلهم من ارباب الاديان الاخرى (الثاني) ان من الطوائف الاسلامية طوائف قد اقتتلت بسبب

الاعتقادات الدينية (الثالث) ان طبيعة الدين الاسلامي تأتي التسامح مع العلم وطبيعة الدين المسيحي تيسر لاهله التسامح مع العلم (الرابع) ان ابناء نجر المدينة الحديثة انما تمتع به الاروبيون ببركة التسامح الديني المسيحي . فلا بد لي من الكلام على كل واحد من هذه الامور الاربعة وابتديء منها بالثاني لقلة الكلام عليه

❦ نفي القتال بين المسلمين لاجل الاعتقاد ❦

لم يسمع في تاريخ المسلمين بقتال وقع بين السلفيين (الآخذين بعقيدة السلف) والاشاعرة مع الاختلاف العظيم بينهما ولا بين هذين الفريقين من أهل السنة والمعتزلة مع شدة التباين بين عقائد أهل الاعتزال وعقائد أهل السنة سلفيين واشاعرة — كما لم يسمع بان الفلاسفة الاسلاميين تألفت لهم طائفة وقع الحرب بينها وبين غيرها . نعم سمع بحروب تعرف بحروب الخوارج كما وقع من القرامطة وغيرهم وهذه الحروب لم يكن مثيرها الخلاف في العقائد وانما اشعلتها الآراء السياسية في طريقة حكم الامة ولم يقتتل هؤلاء مع الخلفاء لاجل ان ينصروا عقيدة، ولكن لاجل ان يغيروا شكل حكومة . وما كان من حرب بين الامويين والهاشميين فهو حرب على الخلافة وهي بالسياسة أشبه ، بل هي أصل السياسة نعم وقعت حروب في الازمنة الاخيرة تشبه ان تكون لاجل

أسباب الحروب بين المسلمين كلها سياسية ١٣

العقيدة وهي ما وقع بين دولة إيران والحكومة العثمانية وبيير الحكومة العثمانية والوهايين، ولكن يتسنى لباحث بأدنى نظر أن يعرف أنها كانت حروباً سياسية ويبرهن على ذلك بالولاء المتمكن بين الحكومتين اليوم مع بقاء الاختلاف في العقيدة بين الحكومة العثمانية وابن الرشيد أمير الوهايين (١)

وأما الحروب الداخلية التي حدثت بعد استقرار الخلافة في بني العباس وازدعت الأمة وفرقت الكلمة فهي حروب منشؤها طمع الحكام وفساد أهوائهم، وحبهم الاستئثار بالسلطان دون سواهم. ومصدر ذلك كله جهلهم بدينهم وارتخاء جبل التمسك به في أيديهم، واكبر داء دخل على المسلمين في همهم وعقولهم إنما دخل عليهم بسبب استيلاء الجهلة على حكومتهم. أقول «الجهلة» وأريد أهل الخشونة والخطرة الذين لم يهذبهم الإسلام ولم يكن لقائده تمكن من قلوبهم. ولو رزق الله المسلمين حاكماً يعرف دينه ويأخذهم بأحكامه لرأيتم قد نهضوا والقرآن الكريم في إحدى اليدين وما قرر

الأولون وما اكتشف الآخرون في اليد الأخرى، ذلك لا خرتهم؟

وهذا لدنياهم، وساروا يزاخمون الأوربيين فيزحونهم
مالنا وللحكام نعرض لهم؟ الذي علي أن أقول ولا أخشى
منازعا: إنه لم تقع حرب معروفة بين المسلمين للحمل على عقيدة من
العقائد أو على تركها، على أن هذا الأمر الذي جاءت به الجامعة والجاتنا

(١) لعل الأولى أن يقال: من أمراء الوهايين

الى الكلام فيه خارج عن الموضوع بالمرّة، لان الكلام في التسامح الديني مع العلم لا في تسامح عقيدة مع عقيدة أو دين مع دين، والا لاوردنا لها من حروب الطوائف المسيحية بعضها مع بعض وحروبها مع غيرها ما يستغرق أجزاء الجامعة بقية هذه السنة اذا أوجزنا ما استطعنا.

هل اذكرها بما كان يقع في القسطنطينية من سفك الدماء بين الارثوذكس والكاثوليك على عهد القياصرة الرومانيين؟ هل اذكرها بحادثة برتلمي سنتهليلر التي سفك فيها الكاثوليك دماء اخوانهم البروتستانت وأخذوهم في بيوتهم على غرة وقتلوهم نساء ورجالا واطفالا؟ بماذا اذكر الجامعة من أمثال هذه الوقائع التي اسود لها لباس الانسانية، وتسلبت لحدوثها البشرية؟ هل يمكن لاحد أن يروي حادثة مثلها وقعت بين شعوب المسلمين بعضهم مع بعض لخلاف في العقيدة مهما عظم الاختلاف

تساهل المسلمين مع أهل العلم والنظر من كل ملة

ثم أرجع الى الامر الاول من الامور الاربعة لان الكلام عليه أقل منه على الامر الثالث. وانني لأستدل على رعاية الاسلام على الحكماء من الملل غير المسلمة بقول كاتب مسلم وانما ارجع في جميع ما اذكر الى كتب المؤرخين والفلاسفة من المسيحيين واذكر اسماء جماعة من المسيحيين وغيرهم بلغوا من الحظوة عند الخلفاء وعامة

المسلمين وخاصتهم ما لم يبلغه غيرهم
قال المستر درابر أحد المؤرخين وكبار الفلاسفة من الاميركان
« ان المسلمين الاولين في زمن الخلفاء لم يقتصروا في معاملة أهل
العلم من النصراني النسطوريين ومن اليهود على مجرد الاحترام ، بل
فوضوا اليهم كثيرا من الاعمال الجسام ، ورفقوهم الى المناصب في الدولة
حتى إن هارون الرشيد وضع جميع المدارس تحت مراقبة حنامسنيه »
(هو يوحنا ابن ماسويه الشهير) وقال في موضع آخر : « كانت ادارة
المدارس مفوضة مع نبل الرأي وسعة الفكر من الخلفاء الى النسطوريين
تارة والى اليهود تارة اخرى . لم يكن ينظر الى البلد الذي عاش فيه
العالم ولا الى الدين الذي ولد فيه بل لم يكن ينظر الا الى مكانته
من العلم والمعرفة . قال الخليفة العباسي الاكبر المأمون : « الحكماء
هم صفوة الله من خلقه ونخبته من عباده لانهم صرفوا عنايتهم الى نيل
فضائل النفس الناطقة وارتفعوا بقواهم عن دنس الطبيعة هم ضياء العالم
وهم واضعو قوانينه ولولاهم لسقط العالم في الجهل والبربرية » . وقال
في موضع آخر : « ان العرب قد زحفوا بجيش من اطباؤهم اليهود
ومؤدبي اولادهم من النسطوريين ففتحوا من مملكة العلم والفلسفة
ما أتوا على حدوده بأسرع مما أتوا على حدود مملكة الرومانيين »
ولست في حاجة الى ذكر ما أسس الخلفاء والملوك من المدارس ،
وأقاموا من المراصد ، وما حشدوا من الكتب الى المكاتب ، لان هذا

خارج عن بحثنا الآن وسيرد عليك شيء منه فيما بعد

طائفة من الحكماء والعلماء الذين حظوا عند الخلفاء

أذكر ممن اشتهر من الحكماء بالحظوة عند الخلفاء جيورجيس بن
بختيشوع الجندي سا بوري طبيب المنصور كان فيلسوفا كبيرا علت منزلته
عند المنصور لانه كانت له زوجة عجوز لا تشتهي فأشفق عليه المنصور
وانفذ اليه بثلاث جوار حسن فردهن وقال : ان ديني لا يسمح لي
بأن أتزوج غير زوجتي ما دامت حية : فأعلى مكانته حتى على
وزرائه ولما مرض أمر المنصور بحمله الى دار العامة وخرج اليه ماشيا
يسأل عن حاله فاستأذنه الحكيم في رجوعه الى بلده ليدفن مع آبائه
فعرض عليه الاسلام ليدخل الجنة فتمال : رضيت أن أكون مع
آبائي في جنة أو نار : فضحك المنصور وأمر بتجهيزه ووصله بعشرة
آلاف دينار (وهو المنصور الدوانيقي المشهور بالامساك وكزازة اليد)
وأوصى من معه بحمله اذا مات في الطريق الى مدافن آبائه كما طلب.
ثم سأله عن يخلفه عنده فأشار الى عيسى بن شهلا ثا أحد تلامذته
فأخذ المنصور مكان جيورجيس فطفق يؤذي القسوس والبطارقة
ويهددهم بمكانه عند الخليفة لئلا ينهزم غائبه فشعر الخليفة بذلك فطرده
وممن حظي عند المنصور نوبخت المنجم وولده أو سهل وكانا
فارسيين على مذهب الفرس ثم كانت ذرية مسلمة لابي سهل وكانوا
جميعا منجمين لهم شهرة في علوم الكواكب فائقة

وممن حظي بالمكانة العليا عند الخليفة المهدي تيوفيل بن توما النصراني المنجم وكان على مذهب الموارنة من سكان لبنان . وله كتب في التاريخ جلييلة ونقل كتاب أميروس الى السريانية بأفصح عبارة وممن ارتفع شأنه عند الرشيد من الفلاسفة بنخيشوع الطيب وجبريل ولده ويوحنا بن ماسويه النصراني السرياني . ولده الرشيد ترجمة الكتب القديمة طبية وغيرها وخدم الرشيد ومن بعده الى المتوكل . وكان يعقد في داره مجلساً للدرس والمناظرة ولم يكن يجتمع في بيت المذاكرة في العلوم من كل نوع والآداب من كل فن مثل ما يجتمع في بيت يوحنا بن ماسويه

وممن علا قدره في زمن المأمون يوحنا البطريق مولى المأمون أقامه كذلك أميناً على ترجمة الكتب من كل علم من علوم الطب والفلسفة . وكذلك ارتفع شأن سهل بن سابور وسابور ابنه وكانا نصرانيين . وولي سابور بن سهل بجمستان جنديسابور

وكان سلمويه بن بنان النصراني طبيباً عند المعتصم ولما مات جزع عليه جزعاً شديداً وأمر بأن يدفن بالبخور والشموع على طريقة النصراني

وكان بنخيشوع بن جبريل عند المتوكل يوماً فأجلسه بجانبه وكان عليه دراعة حرير رومية بها فتق فأخذ المتوكل يحادثه ويعبث بالفتق حتى وصل الى النيفق (وهو ما اتسع من الثوب) ودار

الكلام بينهما حتى سأله المتوكل: بماذا تعلمون ان الموسوس (المصاب
 بنجبل في عقله) يحتاج الى الشد؟ (١) فقال بنخيشوع: اذا عبت بفتق
 دراعة طبيبه حتى بلغ النيفق شد دناه. فضحك المتوكل حتى استلقى
 وفي أيام المتوكل اشتهر حنين بن اسحق النصراني العبادي
 وهو من أشهر ترحمين لكتب أرسطو وغيره وامتحن المتوكل
 صدقه فظهرت عزيمة لا تغفل فأقطعه اقطاعات واسعة. وكان قد
 عرف بفصاحة العبارة وحسن الترجمة في زمن المأمون وهو قتي
 فكلفه بترجمة الكتب وكان يعطيه وزن ما يترجم ذهباً. وكانت
 بينه وبين الطيفوري النصراني محاسنة أفضت الى طلب الحكيم على
 حنين في مجلس الاساقفة بالحرم من الكنيسة فمات غماً لاضطهاد
 أهل طائفته له مع عزته وعلو قدره عند الخليفة وهذا الطيفوري أيضاً
 كان من المقربين عند الخلفاء

وممن ارتفع شأنه عند الخلفاء والخاصة والعامّة في زمنه أيام خلافة
 الرازي مكي بن يونس المنطقي النصراني النسطوري كان متفنناً في
 جميع العلوم العقلية أخذ عنه أبو نصر الفارابي وانتهت اليه الرئاسة في
 بغداد وكان من أهل دير قتي ونشأ في مدرسة مار ماري وقرأ على
 روفابيل وبنيامين الراهبين اليعقوبيين

ومن المقربين عند الخلفاء قسطا البعلبكي من فلاسفة دولة
 (١) يعني بالشد هنا ايثاق المجنون بالحبل حتى لا يؤذي الناس

الاسلام وهو نصراني طلبه الخلفاء الى بغداد لاجل الترجمة ثم يجي
ابن عدي بن حميد بن زكريا المنطقي انتهت اليه الرئاسة ومعرفة العلوم
الحكومية في وقته وقرأ على متى بن يونس وعلى أبي نصر الهارابي
ومنهم أبو الفرج بن الطيب فيلسوف عالم . قالوا كان كاتب
الجائليق ومتميزا في النصارى ببغداد وكان يقرىء صناعة الطب في
البهارستان العضدي وكان معاصرا للشيخ الرئيس ابن سينا والرئيس
يمدح طبه ولا يحمده فلسفته وله كلام فيه

وممن كانت له المكانة الرفيعة عند الخلفاء والخاصة والعامه
ثابت بن قرة الحراني الصابي من طائفة الصابئين المعروفة وتربى
في بيت محمد بن موسى بن شاكر الفلكي المشهور وبلغ في علوم
الفلسفة مبلغا لم يدانه فيه غيره وله تأليف كثيرة في المنطق والطب
والرياضيات وبلغ عند المعتضد مقاما تقدم فيه عنده على وزرائه .
وولد ثابت هذا سنة احدى عشرة ومائتين بجران . ثم كان ابنه
ابراهيم وسنان على قدم أبيهما . ومن حفدته أبو الحسن ثابت بن
قرة . وكان ثابت وابراهيم وسنان صابئين ولهم من المنزلة ما علمت
ومدحهم كثير من شعراء المسلمين وهم صابئة

ماذا أعد للجامعة من الفلاسفة والحكماء من الملل المختلفة الذين
وسعهم صدر الاسلام ، ولم يضمن عليهم بالرعاية والاحترام ، هل
تريد أن أتم لها الكلام بذكر كثير من فلاسفة الاسلام المسلمين

الذين نالوا أسمى الدرجات وأعلى المقامات عند الخلفاء والملوك؟ هل أنا في حاجة إلى ذكر فيلسوف الإسلام أبي يوسف يعقوب الكندي وهو بصري الأصل ابن الأمير اسحق الذي كان أميراً المهدي والرشيدي على الكوفة وهو من ذرية الأشعث بن قيس أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عالماً بالطب والفلسفة والهيئة والحساب والموسيقى واشتغل بالترجمة كما اشتغل غيره بها فترجم كثيراً من كتب الفلسفة وأوضح الغامض منها وكانت له المكاة العليا عند المأمون والمعتصم وولده أحمد؟ هل أنا في حاجة إلى ذكر بني موسى بن شاكر محمد وأحمد والحسن الذين اشتغلوا في مساحة الكرة الأرضية ومعرفة محيطها وقطرها وما كان لهم من المنزلة عند الأمراء والخلفاء؟ أذكر ابن سينا ومنزلته في قومه ووصوله إلى مسند الوزارة عند شمس الدولة؟ أم أذكر الفارابي وما كان له من المكاة عند سيف الدولة بن حمدان

لا ريب أن أبا العلاء المعري يصلح أن يكون رجلاً ممن تعنى الجامعة بنشر تراجمهم وقد قال مالم يقل بمثله فولتير وروسو وقد مات مع ذلك على فراشه وقبره اليوم مزار يرحل إليه في بلده أظن أنه يسهل بعد سرد ما عددناه أن يعرف قراء الجامعة أن الإسلام كان يوسع صدره للغريب كما يوسع له للقریب بميزان واحد وهو ميزان احترام العلماء للعلم . ويسهل على أن التمس العذر للجامعة

بانها عند ما كتبت ما كتبت تمثلت لها بعض حوادث قبل إنها حدثت
 للدين وما حدثت له . بل كان سبب حدوثها إما سياسة خرقاء . أو
 جهالة عمياء . أو تأريث بعض السفهاء . لا أطيل خوف الاملال .
 وانتقل الآن الى الامر الثالث وهو المقابلة بين طبيعة الدينين وهو
 أهم مما سبق ومما سيلحق

طبيعة الدين المسيحي

تمهيد — ظنت الجامعة أن الدين المسيحي فصل بين الساطة
 الدينية والساطة المدنية ولذلك كان في طبيعته التسامح . أما الدين
 الاسلامي فمن أصوله أن الساطان ملك وخليفة ديني وذلك مما يصعب
 معه التسامح في رأيها

ليس هذا بكاف في بيان طبيعة كل من الدينين واستعدادهما
 للتسامح مع العلم أو مع أية عقيدة تعالفاها بل لا بد من بيان أركان
 الدين وأهم أصوله التي ترجع اليها جميع الفروع وعنهما تصدر
 لا ثار الحقيقية

عند النظر في أي دين للحكم له أو عليه في قضية من القضايا
 يجب أن يؤخذ ممحصا مما عرض عليه من بعض عادات أهله أو
 محدثاتهم التي ربما تكون جاءتهم من دين آخر . فاذا أريد أن

يحتج بقول أو عمل لا يتبع ذلك الدين في بيان بعض أصوله فليؤخذ في ذلك بقول أو عمل أقرب الناس الى منشأ الدين ومن تلقوه على سذاجته التي ورد بها من صاحب الدين نفسه

وإني أوجز القول في إيراد الاصول الاولى التي وردت في الاناجيل المعروفة الآن في أيدي المسيحيين ، وجاءت في كلام أئمتهم الاولين ، ثم ايراد ما جر اليه الاخذ بتلك الاصول بحكم طبيعة الدين .

الاصل الاول للنصرانية الخوارق

أول أصل قام عليه الدين المسيحي وأقوى عماد له هو خوارق العادات . *miracle* تقرأ الاناجيل فلا تجد للمسيح عليه السلام دليلاً على صدقه الا ما كان يصنع من الخوارق وعددها في الاناجيل يطول شرحه . ثم إنه جعل ذلك دليلاً على صحة الدين لمن يأتي بعده فجعل لاصحابه ذلك كما تراه في الاصحاح الاشر من انجيل متى وغيره اذا تتبعت جميع ما قال الاولون من اهل هذا الدين تجد خوارق العادات ، من أظهر الآيات على صحة الاعتقادات . ولا يخفى أن خارق العادة هو الامر الذي يصدر مخالفاً لشرائع الكون ونواميسه فاذا ساغ أن يكون ذلك لكل من علا كعبه في الدين لم يبق عند صاحب الدين ناموس يعرف له حكم مخصوص

زاد الانجيل على هذا أن الايمان ولو كان مثل حبة خردل كاف
في خرق نواميس السكون كما قال في الاصحاح السابع عشر من
متى ١٠ : « فالحق أقول لكم لو كان لكم ايمان مثل حبة خردل
لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا الى هناك فينتقل ولا
يكون شيء غير ممكن لديكم » وفي الحادي عشر من مرقس ٢٣ « لاني
الحق أقول لكم أن من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر
ولا يشك في قلبه بل يؤمن أن ما يقوله يكون فهما قال يكون له » ٢٤
« لذلك أقول لكم كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه
فيكون لكم »

فكل بحث يؤدي الى أن للسكون شرائع ثابتة وان للعمل والشرائط
أو الاسباب أو الموانع أحكاما في معلولاتها أو ما شرطت فيه أو ما تسبب
عنها أو ما استحال وجوده لوجودها كان مضادا لهذا الاصل في أي زمن.
وقد كان كل علم من علوم الاكوان لا بد فيه من هذا البحث فكل
علم مضاد لهذا الاصل . ثم ان صاحب الاعتقاد بهذا الاصل لا
يحتاج الى البحث في الاسباب والمسببات لان اعتقاده في الشيء
أن يكون وارا دته لان يكون كافيان في حصوله فهو في غنى عن
العلم والعلم عدو لما يعتقد فما أصعب احتمالها اذا جاء يزاحمه في سلطانه

الاصـل الثـاني للنـصرانية سلـطة الرؤساء

وبعد هذا الاصل أصل آخر وهو السلطة الدينية التي منحت

لرؤساء على المرؤوسين في عقائدهم، وما تكنه ضمائرهم . وقد أحكم هذه السلطة ما ورد في ١٦ : ١٩ من انجيل متى : « أعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ما تربطه على الارض يكون مربوطا في السموات وكل ما تحمله على الارض يكون محلولا في السموات » وفي ١٨ : ١٨ منه « الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الارض يكون مربوطا في السماء . وكل ما تحلونه على الارض يكون محلولا في السماء »

فاذا قال الرئيس الكهنوتي لشخص إنه ليس بمسيحي صار كذلك واذا قال إنه مسيحي فازبها فليس المعتقد حرا في اعتقاده يتصرف في معارفه كما يرشده عقله، بل عينا قلبه مشدودتان بشقتي رئيسه. فاذا اهترت نفسه الى بحث أوقفها قابض على تلك السلطة وهذا الاصل ان نازع فيه بعض النصارى اليوم فقد جرت عليه النصرانية خمسة عشر قرنا طوالا

الاصل الثالث للنصرانية ترك الدنيا

وبعد هذين الاصلين أصل ثالث وهو التجرد من الدنيا والانتقال الى الآخرة . نجد هذا الاصل في الانجيل وفي أعمال الرسل وكلما قرأت في الكتب الاولى عثرت به . وتجد الاوامر الصادرة بالانتقال الى الملكوت والهروب من عالم الملك صريحة

في الأصحاح السادس والعاشر والتاسع عشر من انجيل متى . فما جاء في السادس : « لا تقدر أن تأكلوا الله والمال ٢٥ لذلك أقول لكم لا تهتموا بحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لاجسادكم بما تلبسون أليست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس (الى أن قال) ٣٣ ولكن اطلبوا أولا ملكوت الله وبره وهذه تزداد لكم ٣٤ فلا تهتموا للغد لان الغد يهتم بما لنفسه، يكفي اليوم شره » وقال في التاسع عشر : ٢٣ الحق أقول لكم إنه يعسر أن يدخل غني الى ملكوت السموات ٢٤ وأقول لكم أيضا ان مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني الى ملكوت الله » وفي العاشر : « ٩ لا تقتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً في مناطقكم ١٠ ولا مزوداً للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا الخ »

وحدث على الرهبانية وترك الزواج وفي ذلك قطع النسل البشري قال في (١٩ : ١٠ من متى) ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لاجل ملكوت السموات من استطاع أن يقبل فليقبل .

ثم ان ملكوت السموات قد نيط أمره بالايان المجرد عن النظر في الاكوان فماذا يكون حظ صاحب الاعتقاد بهذا الاصل من النظر في اي علم والعلم لا يدخل له في شؤون الآخرة والدنيا قد حرمت عليه ؟ لا ريب أن همه يكون في الصلاة وصرف القلب بكليته الى العبادة دون سواها وليس الفكر في الخليقة من العبادة عنده فان عبادة

الانجيل ليست شيئاً سوى الايمان والصلوة

الاصل الرابع للنصرانية

الايان بغير المعقول

وبعد هذه الاصول أصل رابع وهو عند عامة المسيحيين أصل
 الاصول لا يختلف فيه كاثوليك ولا أرثوذكس ولا بروتستانت وهو
 ان الايمان منحة لا دخل للعقل فيها وان من الدين ما هو فوق العقل
 بمعنى ما يناقض أحكام العقل وهو مع ذلك مما يجب الايمان به . قال
 القديس أنسيلم : « يجب أن نعتقد أولاً بما يعرض على قلبك بدون
 نظر ثم اجتهد بعد ذلك في فهم ما اعتقدت » فليس الايمان وهو
 الوسيلة الفردة الى النجاة في حاجة الى نظر العقل ، والكون وما فيه
 لا بهم المؤمن أن يجيل فيه نظره . وقول القديس « ثم اجتهد بعد
 ذلك في فهم ما اعتقدت » نوع من التفضل على النزعة البشرية الى
 الفهم (١) وعلى الميل الفطري الى تصور ما يتعلق به الاءقاد، والاف مجرد
 الايمان كاف في الخلاص . ثم الويل كل الويل لطالب الفهم اذا
 أدى اجتهاده الى شيء يخالف ما يتعلق به ايمانه فكأن معنى الفهم
 أن يخلق المؤمن لنفسه ما يسلي به نفسه على ايمانه بغير المفهوم

(١) الى الفهم متعلق بالنزعة وهي النزوع والميل

الأصل الخامس للنصرانية

ان الكتب المقدسة حاوية كل ما يحتاج اليه البشر
في المعاش والمعاد

ثم ينضم الى الاصول الاربعة خامس وهو ان الكتب المعروفة
بالعهد القديم والعهد الجديد تحتوي على كل ما يحتاج البشر الى علمه
سواء كان متعلقا بالاعتقادات الدينية، والآداب النفسية، والاعمال
البدنية. مما يؤدي الى نيل السعادة في الملكوت الاعلى — او كان من
المعارف البشرية التي ينأى للعقل الانساني أن يتمتع بها. قال تيرتوليان
(وهو أفضل من وصف الاعتقاد المسيحي في نهاية القرن الثالث
قبل أن تعرض عليه البدع الكثيرة) : « ان عقائد المسيحية أسست
على الكتب السماوية ودليل صحة هذه الكتب قدمها وكونها أقدم
من كتاب أميروس وأقدم من أقدم أثر معروف عند الرومانيين وأقدم
من تأسيس الحكومة الرومانية نفسها والزمن ناصر الحقيقة، ثم تحقق
النبوءات التي وردت فيها » ثم قال : « ان أساس كل علم عندهم هو
الكتاب المقدس وتقاليد الكنيسة وان الله لم يقصر تعليمنا بالوحي
على الهداية الى الدين فقط بل علمنا بالوحي كل ما أراد أن نعلمه
من الكون، فالكتاب المقدس يحتوي من العرفان على المقدار الذي
تقدر للبشر أن ينالوه » فجميع ما جاء في الكتب السماوية من وصف

السما والارض وما فيها وتاريخ الامم - مما يجب تسليمه مهما ضارب العقل أو خالف شاهد الحس فعلى الناس أن يؤمنوا به أو لا ثم يمجّدوا ثانيا في حمل أنفسهم على فهمه أي على تسليمه أيضا كما ترى . وقال بعض فضلائهم : انه يمكن أن يؤخذ فن المعادن بأكمله من الكتاب المقدس

الاصل السادس للنصرانية

﴿ التفريق بين المسيحيين وغيرهم حتى الاقربين ﴾
 ينظم تلك الاصول كلها اصل سادس وهو آخرها فيما أرى .
 ذلك الاصل هو الذي ورد في الاصحاح العاشر من انجيل متى وهو :
 « ٣٤ لا تظنوا اني جئت لالقي سلاما على الارض ما جئت لالقي
 سلاما بل سيف ٣٥ فاني جئت لافرق الانسان ضد أبيه والابنة ضد
 أمها والكنة ضد حماتها ٣٦ وأعداء الانسان أهل بيته . » وقد صرح
 في عدة مواضع من الانجيل ان الاخلال بشيء من محبة المسيح
 أو بالانقياد الى جميع ما أوصى به موجب للهلاك وان كان قد جاء
 في مواضع كثيرة ان الايمان وحده كاف في الخلاص غير ان روح
 الشدة التي جاءت في قوله « لا تظنوا اني جئت لالقي سلاما الخ » هي
 التي بقي أثرها في نفوس الاولين من المعتقدين بلدي المسيحي وعفت
 على آثار ما كان يصح أن تستشعره النفوس من بعض الوصايا الاخر

نتائج هذه الاصول وآثارها

من هنا أعرض المسيحيون الاولون عن شواغل الكون وصدوا
 عن سبيل النظر فيه اظهارا للغنى بالايان والعبادة عن كل شيء
 سواهما، وحجروا على همم النفوس أن تنهض الا الى الدعوة الى ذلك
 الايمان وتلك العبادة، ووسائل الدعوة هي الايمان والعبادة كذلك
 فاذا نزلت العقول الى علم شيء من العالم وضعوا أمام نظرها كتب
 العهد القديم وحصروا العلم بين دفتها استغناء بالوحي عن كل عمل
 للعقل سوى فهمه من عباراته وليس يسوغ لسكل ذي عقل فهمه بل
 انما يتلقى فهمه من رؤساء الكنيسة خوفا من الزيغ عن الايمان السليم
 (البروتستانت رأوا أنه يجوز تفسير الكتاب المقدس لغير الكنيسة)
 ثم ان إلقاء السيف ووضع التفريق بين الاقارب والاحبة إجماعا
 حافظا لذلك كله فاذا خطر على قلب أحد خاطر سوء يرمي الى معارضة
 شيء من أمور الايمان المقررة وجب قطع الطريق على ذلك الخاطر
 ولم يجز في شأن صاحبه هوادة ولا مرحلة كما أفهمه المسيح بعمله على
 حسب ماورد في الانجيل فقد قيل له : « ٤٧ أمك واخوتك واقفون
 خارجا طالبين أن يكلموك » ٤٨ فأجاب وقال للقائل له من هي أمي
 ومن هم اخوتي ٤٩ ثم مديده نحو تلاميذه وقال ها أمي واخوتي »
 ونحو ذلك مما يدل على وجوب المقاطعة بين من يعتقد بالدين المسيحي

اخوتك

هذا الكلام و
 عكس الموقفة
 فهو لم يرمع
 المواقفة بال
 ولم يترك مست

ومن يحيد عن شيء من معتقده . ولا يخفى أن الشيء يكون بذرة ثم
 نبتا ثم شجرا فانظر الى ماصار أمر هذه البدايات بحكم الطبيعة
 وقر في نفوس المسيحيين أن السلامة في ترك الفكر والاخذ
 بالتسليم وتقرر عند القوم قاعدة « أن الجهالة أم التقوى » (وكثير
 من أهل الأديان مسيحيين ومسلمين لا يزالون يجرون على هذه
 القاعدة ببركة ماورثوا عن أبناء الزمن الغابر) فحصروا التعليم في
 الأديار ومنعت الكنيسة أن ينشر التعليم بين العامة إلا ما كان
 دعوة الى الصلاح وتقرير الايمان على وجه ظاهر . وبقي غير القسيسين
 في جهالة حتى بأمور الدين وحقائقه وأسراره . ظهرت ذات الذنب
 التي تنسب الى هالي في سنة ١٦٨٢ فاضطربت لظهورها أوروبا
 ولجأوا الى البابا واستجاروا به فأجارهم وطردها من الجوفولت في
 الفضاء مذعورة من لعنته ولم تعد الا بعد خمس وسبعين سنة ؟
 لم يكن يسمح لاحد أن يبدي رأيا يخالف صريح ما في الكتاب ،
 وعند ما أظهر بالاج رأيه في أن الموت كان يوجد قبل آدم أي إن
 الحيوانات كان يدركها الموت قبل أن يخطئ آدم بالاكل من الشجرة
 قام لذلك ضوضاء وارتفعت جلبة وانتهى الجدل والجلال الى صدور
 أمر امبراطوري بقتل كل شخص يعتقد ذلك . يقول المؤرخ :
 وهكذا عد الاعتقاد بأن الموت كان يزور الاحياء قبل آدم جريمة
 على الملك

رمان لهذا
 استجتم

أحرق كتب البطالسة والمصريين بالاسكندرية على عهد
جول قيصر ثم إن تيوفيل بطريك الاسكندرية انتحل أدنى الاسباب
لاثارة ثورة في المدينة لاتف ما بقي في مكتبة البطالسة بعضه بالاحراق
وبعضه بالتبديد . قال أوروسيوس المؤرخ انه رأى أدراج المكتبة
خالية من الكتب بعد ان نال تيوفيل الامر الامبراطوري باتلافها
بنحو عشرين سنة

ثم جاء بعد تيوفيل ابن أخته سيريل وكان خطيبا مفوها له
على الشعب سلطان بفصاحته وكان في الاسكندرية بنت تسمى
هيباني الرياضية تشغل بالعلوم والفلسفة وكان يجتمع اليها كثير من
أهل النظر في العلوم الرياضية وكان لا ينلو مجلسها من البحث في
أمور آخر خصوصا في هذه المسائل الثلاث: من أنا؟ والى أين أذهب؟
وماذا يمكنني أن أعلم؟ فلم يحتمل ذلك القديس سيريل، مع أن البنت
لم تكن مسيحية بل كانت على دين آباؤها المصريين، فأخذ يثير الشعب
عليها حتى قعدوا لها وقبضوا عليها في الطريق سائرة الى دار ندوتها
وجردوها من ثيابها وأخذوها الى الكنيسة مكشوفة العورة وقتلوها
هناك ثم قطع جسمها وجرد اللحم عن العظم وما بقي منها ألقى في
النار . يقول المؤرخ راوي هذه القصة : ولم يستل سيريل عما صنع
بهيباني ولم تنظر الحكومة الرومانية فيما وقع عليها ولعل ذلك كان
أول ما تقررت تلك القاعدة : « الغاية تشفع للوسيلة »

ما من عقيدة ظهرت في المسيحية وأريد تقريرها من فريق
 ونازع فيها فريق الاوقدسات لها الدماء، فليراجع التاريخ لتمثل أرض
 مصر مصبوغة بدماء المسيحيين من فريقين مختلفين عند ما أريد
 تقرير عبادة العذراء واتخاذها لله أما . كان ذلك في طبيعة الدين:
 ان من لم يتبع المسيح فهو هالك والهالك لا يستحق الحياة . ألم تر
 في الاصحاح الخامس من الاعمال الى قصة الرجل الذي باع جميع
 ما عنده وعند ما جاء الى بطرس أعطاه الثمن وادخر لنفسه شيئاً
 أخفاه عنه فاطلع بطرس على حقيقة الامر ووبخ الرجل وتصرف فيه
 بسبب حياته من طريق المعجزة ثم جاءت امرأته وكان لها اطلاع
 على ما أخفى زوجها ولم تنبهه فوبخها بطرس وأخبرها بموت زوجها
 فماتت هي أيضاً . فاذا كان الله يسلب الحياة جزاء على اختلاس
 الرجل شيئاً من مال نفسه لم يقدمه هدية للرسول فكيف تكون الحياة
 من حقه اذا خالف خلفاء الله في الارض ونابذهم فيما يعتقدون؟

قال البابا أنوسان الثالث عند الكلام في مصادرة الذين يخالفون
 العقيدة الكاثوليكية : « لا يجوز أن يترك لاولاد الجاحدين سوى
 الحياة وترك الحياة لهم من واحسان » فلم يقصر الجزاء على الجاحدين
 ولكن عداه الى اولادهم وعد ترك الحياة لاولادهم يتمتعون بها
 ضرباً من الاحسان عليهم لانهم لا حق لهم في أن يعيشوا وقد
 جحد آباؤهم

مقاومة النصرانية للعلم

سر القاعه

ولقد اتبع الكاتب

خبره من

منه ان يجب النظر

الدين نفسه ليعرف

عادته الله و

لم نسمع قبل

أمر المسيح

لنحمل على العقب

ايه كتب هذا

واذا قصد بحروبهم

فالمعروف ان

سياسه لاد

لا أجد في التاريخ ذكراً للعلم والفلسفة بعد ظهور المسيحية في
مظهر القوة لعهد قسطنطين وما بعده الا في أثناء الممازعات الدينية
التي كان يفصل فيها تارة بسلاطان الملوك وأخرى بسجم المجامع وثالثة
بسفك الدماء فتخمد شعلة العلم وينتصر الدين المحض . وانما لذكر
كل الذم لما كان بين المسيحية وما جاورها من الملل الاخرى
من الحروب الدينية للحمل على العقيدة بما كان يعتقد المسيحيون
وما كان يقع بين ملوك أوروبا من التسافك في الدماء باغراء رؤساء
الكنيسة وأمر ذلك معروف عند من له إلمام بالتاريخ وليس من
موضوعنا الكلام فيه

واكن أرى ^{شبه} نزاع بين العلم والدين ظهر في أوروبا بعد
ظهور الاسلام واستقرار سلاطانه في بلاد الاندلس واحتكاك الاوربيين
بالمسلمين في الحروب الصليبية

رجع الآلاف من الغزاة الصليبيين الى بلادهم وحملوا الى الناس
أخبارا تناقض ما كان ينشره دعاة الحرب من رؤساء الكنيسة من
أن المسلمين جماعة من الوثنيين غلبوا على الارض المقدسة وأجلوا
عنها دين التوحيد ونفوا منها كل فضيلة واخلاص وهم وحوش ضارية
وحيوانات مفترسة فلما قفل الغزاة الى ديارهم قصوا على قومهم أن

أعداءهم كانوا اهل دين وتوحيد ومروءة وذوي ود ووفاء وفضل مجاملة
 ثم كان الخليفة الحكم الثاني جعل من بلاد الاندلس فردوسا
 كما قال الفيلسوف الاميركاني وكان اليهود والنصارى يتلاقون في
 تلك البلاد تحت ظلال الامن والحرية . قال بطرس المحترم الشهير:
 انه رأى كثيرا من العلماء يأتون الى تلك البلاد لتلقي العلوم الفلكية
 حتى من بلاد انكترا وأولئك الذين يسعون الى طلب العلوم من
 أي بلاد جاءوا كانوا يجردون فيها رحبا وسعة وكان قصر الخليفة يشبه
 أن يكون مصنعا للكتب — نسخ وتذهيب وتجليد الخ ما قال

ثم انتشرت صناعة الورق التي اخترعها العرب ثم اكتشفت
 المطبعة وسهل على الناس أن ينشروا آراءهم بعد أن تنهت أفكارهم
 بما جلب اليهم رسل العلم الذين حملوه اليهم من أهالي اسبانيا ومن
 حملوه مما جاورها . ثم انساب الى العقول شيء مما سماه الاوربيون
 فلسفة ابن رشد . عند ذلك اهتمت المسيحية بالامر وأخذت تحارب
 كل ما يظهر على السنة الناس أو يرد على أسماءهم مما يخالف ما في
 الكتب المقدسة وتقاليد الكنيسة . قال دي رومينس : ان قوس
 قزح ليست قوسا حربية بيد الله ينتقم بها من عباده اذا أراد بل
 هي من انعكاس ضوء الشمس في نقط الماء . فجاب الى روما وحبس
 حتى مات ثم حوكت جثته وكتبه فحکم عليها وألقيت في النار .
 وقيل في علة الحكم : انه أراد الصلح بين كنيستي روما وانكترا

وأبي ذنب أعظم من هذا الصالح؟ هو أضخم بلا ريب من ذنب القول بأن قوس قزح من انعكاس ضوء الشمس في نقط الماء

مراقبة المطبوعات ومحكمة التفتيش

انشتت المراقبة على المطبوعات وحتم على كل مؤلف وكل طابع أن يعرض مؤلفه أو ما يريد طبعه على القسيس أو المجلس الذي عين للمراقبة وصدرت أحكام المجمع المقدس بحرمان من يطبع شيئاً لم يعرض على المراقب أو ينشر شيئاً لم يأذن المراقب بنشره وأوعز الى هذا المراقب أن يدقق النظر حتى لا ينشر ما فيه شيء يوميء الى مخالفة العقيدة الكاثوليكية ووضعت غرامات ثقيلة على أرباب المطابع يعاقبون بها فوق الحرمان من الكنيسة (كأن الحكومة العثمانية على ما تنشر بعض الجرائد أخذت نسخة من قرار المجمع المقدس لتجري عليه مراقبة المطبوعات ولا تكن للسياسة لا للدين) أنشتت محكمة التفتيش لمقاومة العلم والفلسفة عند ما خيف ظهورهما بسعي تلامذة ابن رشد وتلامذة تلامذته خصوصاً في جنوب فرنسا وإيطاليا. أنشتت هذه المحكمة الغربية بطلب الراهب توركاندا قامت المحكمة بأعمالها حق القيام ففي مدة ثمانية عشرة سنة — من سنة ١٤٨١ الى سنة ١٤٩٩ — حكمت على عشرة آلاف

ومئتين وعشرين شخصا بأن يحرقوا وهم أحياء فأحرقوا وعلى ستة آلاف وثمانمائة وستين بالشنق بعد التشهير فشهروا وشنقوا وعلى سبعة وتسعين ألفا وثلاثة وعشرين شخصا بعقوبات مختلفة فنفذت ثم أحرقت كل توراة بالعبرية

ماذا كانت وسائل التحقيق عند هذه المحكمة « المقدسة » ؟ وسيلة واحدة هي أن يجس المتهم وتجري عليه أنواع العذاب المختلفة بآلات التعذيب المتنوعة الى أن يعترف بما نسب اليه وعند ذلك يصدر الحكم ويعقبه التنفيذ . قرر مجمع لاتران سنة ١٥٠٢ أن يلعن كل من ينظر في فلسفة ابن رشد . وطفق الدومينكان ينخدون من ابن رشد ولعنه ولعن من ينظر في كلامه شيئا من الصناعة والعبادة لكن ذلك لم يمنع الامراء وطلاب العلوم من كل طبقة من تلمس الوسائل الموصول الى شيء من كتبه وتحلية العقول ببعض أفكاره اشتدت محكمة التفتيش في طلب أولئك المجرمين طلاب العلم والسعة الى كسبه ونيط بها كشف البدعة والحكم فيها مهما اشتد خفاؤها — في المدن . في البيوت . في السرايب . في الانفاق . في المخازن . في المطابخ . في المغارات . في الغابات . وفي الحقول . فوفت بما كلفت به مع البهجة والسرور اللائقين بأصحاب الغيرة على الدين عملا بالقول الجليل « ما جئت لالقي سلاما بل سيفا » كان يؤخذ الرهبان في صوامعهم ، والقسوس في كنائسهم ،

بغير علم
الديفان مقتض
للاصدر سنة ١٨٢٢
د معادى .

والاشراف في قصورهم ، والتجار بين بضائعهم ، والصناع في مصانعهم
والعامّة في بيوتهم ومزارعهم ، وحيثما وجدوا ، وأيما ثقفوا ، ويوقفون
أمام المحكمة وتصدر الاحكام عليهم يوم اتهامهم

قرر مجمع لاتران أن يكون من وسائل الاطلاع على أفكار
الناس الاعتراف الواجب أدائه على المذهب الكاثوليكي أمام
القسيس في الكنيسة (أي الاعتراف بالذنوب طلبا لغفرانها)

تذهب البنت أو الزوجة أو الاخت لاجل الاعتراف بين
يدي القسيس يوم الاحد فيكون مما تستل عنه عقيدة أبيها أو
أزوجها أو أخيها وما يبدر من لسانه في بيته وما يظهر في أعماله
بين أهله . فاذا وجد القسيس متلقي الاعتراف شيئا من الشبهة في
طلبه لم غير المقدس على من سأله عنه رفع أمره الى المحكمة فينقض
شهاب التهمة عليه فاذا سأل عن الشاهد الذي عول عليه في اتهامه لا
يجاب وإنما يقام التعذيب مقام شخص الشاهد وهو من أهله حتى يعترف
أوقعت هذه المحكمة المقدسة من الرعب في قلوب اهل أوربا
ما خيل لكل من يلمع في ذهنه شيء من نور الفكر اذا نظر حوله
أو التفت وراءه أن رسول الشؤم يتبعه وأن السلاسل والاغلال
أسبق الى عنقه ويديه ، من ورود الفكرة العلمية اليه ، وقال باغلياديس
ما كان يقوله جميع الناس لذلك العهد : « يقرب من المحال أن
يكون الشخص مسيحيا ويموت على فراشه »

حكمت هذه المحكمة من يوم نشأتها ١٤٨١ الى سنة ١٨٠٨ على ثلاثمائة وأربعين ألف نسمة منهم نحو مائتي ألف أحرقوا بالنار أحياء

اضطهاد المسيحية للمسلمين واليهود والعلماء عامة

لما كان ابن رشد هو الينوع الذي تفجر منه ماء العلم والحرية في أوروبا على زعم القسوس وكان ابن رشد استاذا يتعلم عنده كثير من اليهود وقد اتهموا بنشر أفكاره وآرائه ثم هو مع ذلك مسلم صب غضب الكنيسة على اليهود والمسلمين معا فصدر الامر في ٣٠ مارس (آذار) ١٤٩٢ بأن كل يهودي لم يقبل المعمودية في أي سن كان وعلى أي حال كان يجب أن يترك بلاد اسبانيا قبل شهر يوليو (تموز) ومن رجع منهم الى هذه البلاد عوقب بالقتل وأبيع لهم أن يبيعوا ما يملكون من عقار ومنقول بشرط أن لا يأخذوا في الثمن ذهباً ولا فضة وانما يأخذون الاثمان عروضاً وحالات. ومن ذا الذي يشتري اليوم بثمان مائة يأخذها بعد ثلاثة اشهر بلا ثمن؟ (يعني ان أموال اليهود تكون مباحة بعد ثلاثهم الذي تم في يوليو) وصدر امر (توركاندو) أن لا يساعد أحد من سكان اسبانيا في أمر من أمورهم. وهكذا خرج اليهود تاركين كل ما يملكون بارواحهم على انه لانجاة لكثير منها فقد اغتالها الجوع ومشقة السفر مع العدم والفقر وفي فبراير (شباط) سنة ١٥٠٢ نشر الامر بطرد أعداء الله

المغاربة (المسلمين) من اشبيلية وما حولها — من لم يقبل المعمودية منهم يترك بلاد اسبانيا قبل شهر ابريل (نيسان) وأبيح لهم أن يبيعوا ما يملكون على الشرط الذي وضع لليهود ولكن وضع المسلمين شرط آخر وهو أن لا يذهبوا في طريق يؤدي الى بلاد اسلامية ومن خالف فجزاؤه القتل . فهؤلاء المساكين نفوا جميعا الى القتل إن لم يكن قتل الجزاء عند الرجوع فالموت ملاقيهم بالتعب مع العري والجوع ألا يعجب القاريء اذا رأى أن (برونو) يحرق بالنار حيا بعد حبس طويل سنة ١٦٠٠ لانه قال بقول الصوفية في وحدة الوجود وقال ان هذا العالم يحتوي على عوالم كثيرة؟ الحمد لله رب العالمين ظهر القول بكروية الارض — ذلك الامر الذي عرفه المسلمون وصار رأيا لهم في أول خلافة بني العباس ولم تتحرك له شعرة في بدن — فحدث اضطرابا شديدا في عالم النصرانية ولا يسع هذا المقال ما وقع من الحوادث في شأنه

هل يصدق القاريء أن ما قصده كريستوف كولمب من السفر في المحيط الاطلانطي لعله يكتشف أرضا جديدة كان من الامور التي اهتمت لها الكنيسة وحكم مجمع سلامانك بأنه مخالف لاصول الدين ثم أعيد النظر فيه وعرض على أقوال الآباء من كريزستوم واوغستين وجيروم وغريغوار وبازيل وانبرواز وعلى رسائل الرسل والاناجيل والنبوات والزبور والاسفار الخمسة ولم ينتج هذا العرض

شيئا ولكن ساعده على ما قصد بعض الملوك رغم الكنيسة كما هو معلوم . قال كريستوف كولب ان الذي أوحى اليه هذا القصد النبيل هي كتب ابن رشد . من هنا تفهم لم قامت له الكنيسة وقعدت ؟
 ماأشد تمسك الكنيسة بهذا الاصل الجليل « السلطة للقسوس والطاعة على العامة » كل رأي لم يصدر عن ذلك المصدر الديني الذي يربط ويحل في الارض والسماء فهو باطل يجب مقاومته بكل ما استطاع لهذا حكم على غاليلي الذي ذهب الى أن حركة الكواكب هي على النظام المعروف عند الفلكيين اليوم
 مقاومة الكنيسة للحقن تحت الجلد

هل تدري ماذا حصل من المقاومة لادخال الحقن تحت الجلد بمادة المرض ؟ اكتشفت هذه الطريقة الطبية عند المسلمين في الاستانة ثم نقلتها الى أوروبا امرأة تسمى ماري مونتاجو سنة ١٧٢١ فقامت قيامة القسوس وعارضوا في استعمالها واحتيج في تعضيدها الى التماس المساعدة من ملك انكلترا وعادت هذه الشدة في المعارضة عند ما اكتشفت طريقة تطعيم الجدري
 مقاومة تسهيل الولادة

أي مقاومة لم يلاقها اكتشاف تخدير المرأة عند الولادة حتى لا تحس بألم الطلق . اكتشاف أميركاني رأت حضرات القسوس فيه انه يخلص المرأة من تلك اللعنة أو تلك العقوبة التي سجات عليها

مقاومة السلطة وحرية الدين و الجمعيات العلمية والكتب ٤١

في سفر التكوين (إذ جاء في الاصحاح الثالث منه : وقال للمرأة تكثيرا اكثر اتعاب حملك بالوجع تلدين أولادا »)
مقاومة السلطة المدنية وحرية الاعتقاد

نشر البابا منشورا في سنة ١٨٦٤ جا. فيه لعن كل من يقول بجواز خضوع الكنيسة لسلطة مدنية أو جواز أن يفسر أحد شيئا من الكتب المقدسة على خلاف ما ترى الكنيسة أو يعتقد بان الشخص حر فيما يعتقد ويدين به ربه . وفي منشور له سنة ١٨٦٨ ان المؤمنين يجب عليهم أن يفدوا نفوذ الكنيسة بأرواحهم وأموالهم وعاليهم أن ينزلوا لها عن آرائهم وأفكارهم ودعا الروم الارثوذكس والبروتستانت الى الخضوع للكنيسة الرومانية على هذا الوجه

في سنة ١٨٧١ كان النزاع بين حكومة بروسيا والبابا في عزل أستاذ في احدى الكليات رأى رأيا لا يروق للحزب الكاثوليكي فخرمه البابا وطلب من الحكومة عزله وكانت احدى العضلات السياسية غير ان عزيمه بسمارك نصرت مدينة القرن التاسع عشر على سلطان الكنيسة وأبتت الاستاذ وجعلت التعليم تحت السلطة المدنية
مقاومة الجمعيات العلمية والكتب :

لا أذكر الجمعيات العلمية (الا كادميات) التي ألغيت والاجتماعات التي عطلت لا لشيء كان فيها سوى هداية البشر الى منافعهم وتنوير بصائرهم بكشف ما احتجب عنهم من سر الخليقة بالبحث النظري

ومن الطريق العقلي من غير استشارة المسيطر الالهي وهو الكنيسة
ولكن أذكر شيئاً واحداً وهو ان الكردينال اكسيمينيس أحرق
في غرناطة ثمانية آلاف كتاب بخط القلم فيها كثير من ترجمة الكتب
المعول عليها عند علماء أوروبا لذلك العهد

﴿ البروتستانت أو الاصلاح ﴾

ربما يقول قائل: ان هذا الذي ذكرت هو عمل الكنيسة
الرومانية الكاثوليكية ولكن قد قام في المسيحية مصلحون يرون
ارجاع الدين الى أصل الكتب المقدسة ويبيحون للعامّة أن ينظروا
فيها ويفهموها وقد رفعوا تلك السيطرة عن الضمائر والعقول ومن
عهد ظهور الاصلاح والرجوع الى أصول الدين الاولى بزغت شمس
العلم بالمغرب وبسط للعلم بساط التسامح وذلك لا يمكن أن يكون
الاجريا مع طبيعة الدين

لا أذكر في الجواب عن ذلك الاما ذكر البروتستانت أنفسهم
في تاريخ الاصلاح: استمرت عقوبة الموت قانوناً يحكم به على كل
من يخالف معتقد الطائفة وقد أمر كلفان (١) باحراق سيرفيت في
جنيف لانه كان يعتقد أن الدين المسيحي كان قد دخل عليه شيء
من الابتداع قبل مجمع نيقيه. وكان يقول: ان روح القدس ينعش
« ١ » كلفان هو الزعيم الثاني للبروتستانت ولوتر الاول

الطبيعة بأسرها . فكان جزاؤه على هذا أن شوي على النار حتى مات وهكذا أحرق فايبي في تلوز سنة ١٦٢٩

كان لوتير أشد الناس انكارا على من ينظر في فلسفة ارسطو وكان ذلك المصالح يلقب هذا الفيلسوف بالخنزير الدنس الكذاب ونحو ذلك من الالقاب التي لا بأس بها اذا صدرت من أهل الغيرة على الدين في طريق الدفاع عنه !! وكان كلفان أقل شتما للفيلسوف من لوتير لكتبه لم يكن أحسن ظنا به ولا أوسع صدرا لمن يطالع على شيء من كتبه . وكان علماء المسلمين يلقبون هذا الفيلسوف « المعلم الاول » فتأمل الفرق بين الفريقين !!

قالوا : البروتستانت قاموا يطالبون بالحرية في فهم الكتب المقدسة وابطال السلطة على غفران الذنوب والتجارة ببيع الثواب والسعادة الاخروية وابطال عبادة الصور . ولكنهم لم ينيروا شيئا من الاعتقاد بأن الكتب المقدسة هي نبراس الهداية في طريق العلم البشري كما انها منبع نور الايمان بالدين الالهي وانه لا يباح للعقل أن ينساق في نظره الى ما يخالف شيئا مما حوته وأنه لا حاجة الى شيء من العلم وراء ما ورد فيها . والجملة أنهم لم يبطلوا أصلا من الاصول الستة التي تقدمت الا أنهم قالوا بمنع غلو الرؤساء في سلطتهم المبنية على الاصل الثاني في سابق قولنا .

قالوا : ولهذا لم يكن مذهب الاصلاح أخف وطأة على العلم

هل يتطو
عمره
يفجر كره
هذا هو

ولا أفضل معاملة له من الكاثوليك لان كلا المذهبين يرجع الى طبيعة واحدة (وهي القائمة على الاصول السنة) ولم يكن لاهل النظر العقلي جزاء في كلا الملتين الا القتل وستك الدم لو كنت ممن يحب الجدل في الدين لعددت فيما ذكرته من عناصر الدين المسيحي ما تضمنه قول بعض الناقدبن عند الكلام على الحروب المسيحية واضطهادات الكنيسة . « ما أهون الدم على من يمثل في عبادته أكل الدم وعلى من يعتقد أن خلاص العالم الانساني من الخطيئة انما كان بسفك الدم البريء علي يد المعتدي الاثيم » لكنني في بحثي هذا لا أريد أن أسعمل قوة الخيال ، ولا أن أذكر ما يعد من قبيل الجدل ، وانما آتي بما هو حكاية حال ، ليس للناظر فيها مقال ،

﴿ الفصل بين السلطتين في المسيحية ﴾

بقي علينا الكلام فيما جعلته الجامعة أساسا للفصل بين السلطتين الدينية والملكية وبه كانت طبيعة الدين المسيحي أدعى الى التسامح مع العلم في نظرها . لو سلمنا أن في تلك العبارة معنى الفصل - كما قالت الجامعة . وقال كثير غيرها ممن أرادوا مقاومة السلطة الدينية - فماذا يفيد الفصل اذا كان دين الملك نفسه يقضي عليه بمعاداة العلم ؟ أفلا يغلب اعتقاد الملك وما يملك نفسه مما فيه نجاته الروحية على مطالب

الملك؟ وكم من ملك جعل مصالح مملكته قرابانا لسلطان عقيدته .
 هب ان مصالح الملك تكون دائما أغلب على النفس من حكم العقيدة
 وقاهر الايمان والوجدان وقد أقام الدين سلطتين منفصلتين احدهما
 تحل وتربط في الارض وفي السماء فيما هو من خاصة الدين والاخرى
 تحل وتربط في الارض فيما هو من خصائص الدنيا . أفلا يكون هذا
 الفصل قاضيا بتنازع السلطتين وطلب كل واحدة منهما التغلب على
 الاخرى فيمن تحت رعايتهما معا؟ وهل يسهل على السلطة الدينية
 أن تدع رعاياها تتصرف في أبدانهم وأموالهم بل وفي عقولهم أبدي
 الملوك بما تقتضيه مصالح الملك الغابي اذا كان ذلك التصرف مخالفا
 لما جاء في كنز المعارف وهو الكتب السماوية وتأويل الرؤساء
 الروحانيين وسننهم فاذا همت هذه السلطة بالمعارضة أفتصبر الاخرى؟
 هذا هو الذي وقع في العالم المسيحي منذ ظهرت سلطة الدين
 كيف يتسنى للسلطة المدنية أن تتغلب على السلطة الدينية وتقف
 بها عند حدها والسلطة الدينية انما تستمد حكمها من الله ثم تمد
 نفوذها بتلك القوة الى أعماق قلوب الناس وتديرها كيف تشاء .
 والملك لا قوة له الا بأوائك الناس المغلوبين للسلطة الدينية؟ لا يتأتى
 للملك أن يغالب تلك القوة الا بعد أن يتناول من الوسائل ما لا يعد
 لاضعاف سلطتها . نعم هذا الفصل يسهل التسامح لو كانت الابدان
 التي يحكمها الملك يمكنها أن تأتي أعمالها على حدة مستقلة عن الارواح

التي تحيا بها والارواح كذلك تأتي أعمالها بدون الابدان التي تحمل قواها
ثم هل هذا هو معنى قول الانجيل ؟ القصة على ما جاء في
الانجيل أن بعض المرائين أراد أن يتسقط المسيح ليأخذ عليه ما ينم
به فسأله : أيجوز أن نعطي جزية لقيصر ؟ فأجاب لم تجر بونتي ؟
أتوني بدينار لا نظر اليه . فأتوه بدينار فقال : لمن هذه الصورة
والكتابة ؟ قالوا لقيصر . فقال : أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله
فعناه الظاهر من سياق القصة أن صاحب السكة التي تتعاملون بها
إذا ضرب عليكم أن تدفعوا منها شيئاً فادفعوه له أما قلوبكم وعقولكم
وجميع ما هو من الله وعليه طابع صنعته فلا تعطوا منه لقيصر شيئاً
والعلم ليس مما عليه طابع قيصر بل عليه طابع الله فلا يمكن أن يكون
العلم تحت سلطة غير السلطة الروحانية . فأي تسامح مع العلم في هذا ؟

﴿ اعتقاد المسلمين في المسيح والمسيحية ﴾

هذا الذي عرضناه من طبيعة الدين المسيحي واوردناه من
مشاربه فيما بعد نشأته وما وقع من حوادث اهله مع طلاب العلم
ورواد المعارف في كل زمن الى ما يقرب من أيامنا هذه كل ذلك
مأخوذ من تاريخهم الذي كتبوه عن أنفسهم ومن نصوص كتبهم
الدينية التي يتوكلون عليها فيما ذكرنا من سيرتهم وأعمالهم
أما رأيي ورأي اهل العقيدة الصحيحة من المسلمين في المسيح

عليه السلام ودينه فهو على غير مارآه القارىء . انا نعتقد ان المسيح روح الله وكلمته ورسوله الى بنى اسرائيل بعث مصدقا لما بين يديه من التوراة وجاءهم من الدين بما فيه هدى لهم ورشاد في شؤون معاشهم ومعادهم ولم يطالبهم بتعطيل قوة من قواهم التي منحهم الله تعالى اياها بل طالبهم بشكر الله تعالى عليها ولا يشكر حق الشكر إلا باستعمالها جميعها فيما أعدها الله له . والعقل من أجل القوى بل هو قوة القوى الانسانية وعمادها والكون جميعه هو صـحيفته التي ينظر فيها وكتابه الذي يتلوه وكل ما يقرأ فيه فهو هـداية الى الله وسبيل للوصول اليه . وكل ما صح عندنا عن السيد المسيح لا يخالف شيء منه هذا الذي نعتقد . فان صح عنه شيء يكون في ظاهره مخالفة لهذه الاصول امكننا تأويله حتى يرجع معناه اليها أو وكلنا الامر فيه الى الله وقلنا « لا علم لنا الا ما علمتنا »

الدين دين الله وهو دين واحد في الاواين والآخريين لا تختلف الا صورته ومظاهره . وأما روحه وحقيقته ما طواب به العالمون أجمعون على ألسن الانبياء والمرسلين فهو لا يتغير - ايمان بالله وحده واخلاص له في العبادة ومعاونة الناس بعضهم لبعض في الخير وكف أذاهم بعضهم عن بعض ما قدروا . وهذا لا ينافي الارتقاء في الدين بارتقاء عقول البشر واستعدادهم لكمال الهداية . ونعتقد ان دين الاسلام جاء ليجمع البشر كلهم على هذه الاصول ومن أهم وظائفه

ازالة الخلاف الواقع بين أهل الكتاب ودعوتهم الى الاتفاق والاخاء
والمودة والاتلاف وهذا ما عمل عليه المسلمون قرنا بعد قرن بحسب
قوة تمسكهم بالاسلام

فاذا سأل سائل : اذا كان ذلك الذي قدمت فيما سبق هو
اعتراف فضلاء الاوربيين أنفسهم في منافات طبيعة الدين للعلم
واشتماده في معاداته فما هذا الانقلاب الذي حصل في أوروبا وما
هذا التسامح الذي يتمتع به العلم اليوم في اقطارها ؟ فجوابه في
الكلام على الامر الرابع مما ذكرت الجامعة وهو يكون بعد عرض
طبيعة الدين الاسلامي وما يليق ان يكون له مع العلم وما انجر اليه
الحال بمقتضى تلك الطبيعة وما عرض عليهما مما سترها وحال بينهما
وبين أثرها في أخريات الايام وسنوجز القول فيه كما أوجزناه
فيما مضى

﴿ القسم الثاني في الاسلام ﴾

(طبيعة الاسلام مع العلم بمقتضى اصوله)

تمهيد للاصل الاول

للاسلام في الحقيقة دعوتان - دعوة الى الاعتقاد بوجود الله
وتوحيده ودعوة الى التصديق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم . فاما
الدعوة الاولى فلم يعول فيها الا على تنبيه العقل البشري وتوجيهه

الى النظر في الكون واستعمال القياس الصحيح والرجوع الى ما حواه الكون من النظام والترتيب وتعاقد الاسباب والمسببات ليصل بذلك الى أن لا يكون صانعا واجبا الوجود عالما حكما قادرا، وان ذلك الصانع واحد لو حدة النظام في الاكوان . واطلق للعقل البشري ان يجري في سبيله الذي سنته له الفطرة بدون تقييد فنيبه الى ان خلق السموات الارض واختلاف الليل والنهار وتحريك الرياح على وجه يتيسر للبشر ان يستعملها في تسخير الفلك لمنافعه، وارسال تلك الرياح لتثير السحاب فينزل من السحاب ماء فتجيا به الارض بعد موتها وتنبت ما شاء الله من النبات والشجر مما فيه رزق المي وحفاظ حياته - كل ذلك من آيات الله عليه أن يتدبر فيها ليصل الى معرفته ثم قد يزيد تنبيهها بذكر أصل للكون يمكن الوصول الى شيء منه بالبحث في عوالمه فيذكر ما كان عليه الامر في أول خلق السموات والارض كما جاء في آية « أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون » ونحوها من الآيات . وهو اطلاق لعنان العقل ليجري شوطه الذي قدر له في طريق الوصول الى ما كانت عليه الاكوان . وقد يزيد التنبيه تأثيرا في ايقاظ العقل ما يؤيد ذلك من السنة كما جاء في خبر من سأل النبي صلى الله عليه وسلم وآله : أين كان ربنا قبل السموات والارض فاجابه عليه السلام . « كان في عمامة تحت

هواء» (١) والعماء عندهم السحاب . فبرى القرآن في مثل هذه المسألة الكبرى لا يقيد العقل بكتاب ، ولا يقف به عند باب ، ولا يطالبه فيه بحساب ، فليقرأ القارىء القرآن يغني عن سرد الآيات الداعية الى النظر في آيات الكون - « أو لم ينظروا في ما سكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء » . « وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حيا فمنه ياكلون » - « ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم واللوانكم » وأمثال ذلك فلو أردت سرد جميعها لا تيت بأكثر من ثلث القرآن بل من نصفه في مقالتي هذا .

يذكر القرآن اجمالا من آثار الله في الاكوان تحريكا للعبارة ، وتذكيرا بالنعمة ، وحفزا للفكرة ، لا تقرير القواعد الطبيعية ، ولا إلزاما باعتقاد خاص في الخليقة ، وهو في الاستدلال على التوحيد لم يفارق هذه السبيل ، انظر كيف يقرع بالدليل ، « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ، اذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون »

(١) رواه ابن جرير والطبراني وابوالشيخ في العظمة عن ابي رزين السائل (رض) والحديث من المتشابهات ولكنه يوافق ما يقوله علماء الكون في اصل مادة العالم

في دين الاسلام في هذه الدعوة والمطالبة بالايمان بالله ووحده انما
لا يعمل في الدنيا الله؟ والسؤال الثاني ما الذي كثر به هذا الذي
يجري على نظامه الفطري (وهو منسجمة بالنظام الطبيعي) فلا
يذهب بخارج العادة ، ولا يغشى بغيره ما هو خارج العادة ، ولا
يجرس في العالم به سارعة مماويه ولا يقطع حركه في كركه بصيغته
الهيبة ، وقد اتفق المسلمون الاقليات من لا يفتد برأيه فيهم على
ان الاعتقاد بالله مقدم على الاعتقاد بالانبوات وانه لا يمكن الايمان
بالرسول الا بعد الايمان بالله . فلا يصح ان يؤخذ الايمان بالله من
كلام الرسول ولا من الكتاب المبين (به) فانه لا يعمل ان يؤمن
بكتاب الله الا اذا صدقت قبل ذلك بوجود الله وبانه يجوز
ان يرسل كتابا او يرسل رسولا . ولا يخلو قوله قد بين رد المنفق . وطحا
قالوا ان كتاب الله انما هو الذي انزلنا به الروح القدس من ربي
النظر والتميز لتخصيص الاعتراف بالله الذي يؤول اليه الخليل الايمان
بالرسول وما يفرق عليهم من الكتاب والاعتراف به في الدنيا بطلان
فيما لا يدعو اليه بل هو الذي يخرج نبيه للاسلام بخارج العادة
(١) المنار - اي لا يؤخذ منها التسلیم ابتداء ويجعل حجة
على الخصم بناء على ما من الله ولا يفتد من الايمان ان يؤخذ منها اعتبار
ما يقيمون من البرهان على ذلك لا يفتد من الايمان ان يؤخذ منها اعتبار
رسول الله ثم يفتد الايمان بالكتاب والرسول من الايمان بالله

100-10000

وما أدراك ما هو الخارق للعادة الذي يعتمد عليه الاسلام ، في دعوته الى التصديق برسالة النبي عليه السلام ؟ هذا الخارق للعادة هو الذي تواتر خبره ، ولم ينقطع أثره ، هذا هو الدليل وحده وما عداه مما ورد في الاخبار سواء صح سندها أو اشتهر أو ضعف أو وهى فليس مما يوجب القطع عند المسلمين . فاذا أورد في مقام الاستدلال فهو على سبيل تقوية العقد لمن حصل اصله ، وفضل من التأكيذ لمن سلمه من أهله ، ذلك الخارق المتواتر المعول عليه في الاستدلال لتحصيل اليقين هو القرآن وحده . والدليل على انه معجزة خارقة للعادة تدل على ان موحيه هو الله وحده وليس من اختراع البشر هو انه جاء على لسان أمي لم يتعلم الكتاب ولم يمارس العلوم . وقد نزل على وتيرة واحدة هاديا للضال مقوما للمعوج كافلا بنظام عام لحياة من يهتدي به من الامم منقادهم من خسران كانوا فيه ، وهلاك كانوا أشرفوا عليه ، وهو مع ذلك من بلاغة الاسلوب على ما لم يرتق اليه كلام سواه ، حتى لقد دعي الفصحاء والبلغاء ان يعارضوه بشيء من مثله فعجزوا ولجأوا الى المجالدة بالسيوف وسفك الدماء واضطهاد المؤمنين به الى أن ألجأهم الى الدفاع عن حقهم وكان من أمرهم ما كان من انتصار الحق على الباطل وظهور شمس الاسلام تمد عالمها بأضوائها ، وتنشر انوارها في اجوائها وهذا الخارق قد دعي الناس الى النظر فيه بعقولهم وطولبوا

بأن يأتوا في نظرهم على آخر ما تنتهي إليه قوتهم، فإن وجدوا طريقاً لا بطل اعجازه أو كونه لا يصلح دليلاً على المدعى فعليهم أن يأتوا به. قل تعالى: «ان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله» وقل: «أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً» وقال غير ذلك مما هو مطالبة بمقاومة الحجة ولم يطالبهم بمجرد التسليم على رغم من العقل

معجزة القرآن جامع من القول والعلم، وكل منهما مما يتناوله العقل بالفهم، فهي معجزة عرضت على العقل وعرفته القاضي فيها، وأطلقت له حق النظر في احنائها، ونشر ما انطوى في اثنائها، وله منها حظه الذي لا ينتقص. فهي معجزة أعجزت كل طوق أن يأتي بمثليها، والمكنها دنت كل قدرة أن تتناول ما تشاء منها، أما

معجزة موت حي بلا سبب معروف لهوت أو حياة ميت أو إخراج شيطان من جسم أو شفاء علة من بدن فهي مما ينتفع عنده العقل ويمجد لديه الفهم، وإنما يأتي بها الله على يد رسوله لاسكات أقوام أوصل تفهمهم غلبهم الوهم، ولم تضيء عقولهم بنور العلم، وهكذا يقيم الله بقدرته من الآيات اللامع على حسب الاستعدادات (١)

ثم ان الاسلام لم يتخذ من خوارق العادات دليلاً على ان

(١) راجع الصفحة ٣٧١ من مجلد المنار الرابع وانظر الكلام

في الآيات الكونية والآيات النفسية العلمية

الحق لغير لانبياء عليهم الصلاة والسلام ولم ترد فيه كلمة واحدة تشير الى ان الداعين اليه يمكنهم ان يغيروا شيئاً من سنة الله في الخلق، ولا حاجة الى بيان ذلك فهو اشهر من ان يحتاج الى تعريف

تصفح محمد
على ذلك
سبح فعد
ع الله
او لدرج

الاصول الاول للاسلام

(النظر العقلي لتحصيل الايمان) (٢)

فأول أساس وضع عليه الاسلام هو النظر العقلي. والنظر عنده هو وسيلة الايمان الصحيح فقد اقامك منه على سبيل الحجى وقاضاك الى العقل، ومن قاضاك الى حاكم فقد اذعن الى ملاحظته فكيف يمكنه بعد ذلك ان يجور أو يثور عليه. بل بلغ هذا الاصل بالمسلمين أن قال قائلون من أهل السنة: ان الذي يستقصي جهده في الوصول الى الحق ثم لم يصل اليه ومات طالبا غير واقف عند الظن فهو ناج. فأى سعة لا ينظر اليها المخرج أكمل من هذه السعة

الاصول الثاني للاسلام

(تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض)

أسرع اليك بد كر اصل يتبع هذا الاصل المتقدم قبل أن أنتقل

(٢) هذا الاصل وما بعده ضد الاصل الرابع من اصول

النصرانية « راجع ص ٢٦ »

الى غيره : اتفق أهل الملة الاسلامية الا قليلا ممن لا ينظر اليه على انه اذا تعارض العقل والنقل أخذ بمادل عليه العقل وبقي في النقل طريقان طريق التسليم بصحة المنقول مع الاعتراف بالعجز عن فهمه ، وتفويض الامر الى الله في علمه ، والطريق الثانية تاويل النقل مع المحافظة على قوانين اللغة حتي يتفق معناه مع ما أثبتته العقل وبهذا الاصل الذي قام على الكتاب وصحيح السنة وعمل النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مهدت بين يدي العقل كل سبيل ، وأزيلت من سبيله جميع العقبات ، واتسع له المجال الى غير حد ، فماذا عساه يبلغ نظر الفيلسوف حتي يذهب الى ما هو أبعد من هذا؟ وأي فضاء يسع أهل النظر وطلاب العلوم ان لم يسعهم هذا الفضاء ان لم يكن في هذا متسع لهم فلا وسعتهم أرض بجبالها ووهادها ولا سماء باجرامها وابعادها ،

﴿ أصل ثالث ﴾

(من اصول الاحكام في الاسلام البعد عن التكفير)
 هلا ذهبت من هذين الاصلين الى ما اشتهر بين المسلمين وعرف من قواعد احكام دينهم وهو : اذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مئة وجه ويحتمل الايمان من وجه واحد حمل على الايمان ولا يجوز حمله على الكفر . فهل رأيت تسامحا مع

أقوال الفلاسفة والحكماء أوسع من هذا؟ وهل يليق بالحكيم أن يكون من الحق بحيث يقول قولاً لا يحتمل الايمان من وجه واحد من مئة وجه؟ اذا بلغ به الحق هذا المبلغ كان الاجدر به ان يذوق حكم محكمة التفقيش البابوية ويؤخذ بيديه ورجليه فليلقى في النار.

﴿أصل رابع في الاسلام﴾

(الاعتبار بسنن الله في الخلق) (١)

يتبع ذلك الاصل الاول في الاعتقاد — وهو ان لا يعول بعد الانبياء في الدعوة الى الحق على غير الدليل وأن لا ينظر الى العجائب والغرائب وخوارق العادات — أصل آخر وضع لتقويم ملكات الانفس القائمة على طريق الاسلام واصلاح اعمالها في معاشها ومعادها. ذلك هو أصل العبرة بسنة الله فيمن مضى ومن حضر من البشر وفي آثار سيرهم فيهم. فما جاء في الكتاب العزيز مقررًا لهذا الاصل «قد خات من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين — سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلاً — فهل

(١) هذا الاصل ضد الاصل الاول للنصرانية «راجع ٢٢»

ينظرون إلا سنة الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا - اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم « الخ

في هذا يصرح الكتاب ان لله في الامم والا كوان سنننا لا تتبدل، والسنن الطرائق الثابتة التي تجري عليها الشؤون وعلى حسبها تكون الآثار وهي التي تسمى شرائع أونواميس ويعبر عنها قوم بالقوانين . مالنا ولاختلاف العبارات . الذي ينادي به الكتاب ان نظام الجمعية البشرية وما يحدث فيها هو نظام واحد لا يتغير ولا يتبدل، وعلى من يطلب السعادة في هذا الاجتماع ان ينظر في أصول هذا النظام - حتى يرد اليها اعماله ويبنى عليها سيرته وما يأخذ به نفسه . فان غفل عن ذلك غافل فلا ينتظرن الا الشقاء وان ارتفع الى الصالحين نسبه ، أو اتصل بالمقربين سببه . فهما بحث الناظر وفكر ، وكشف وقرر ، وأتى لنا باحكام تلك السنن ، فهو يجري مع طبيعة الدين ، وطبيعة الدين لا تتجافى عنه ، ولا تنفر منه ، فلم لا يعظم تسامحها معه ،

جاء الاسلام لمحو الوثنية عربية كانت او يونانية او رومانية أو غيرها في أي لباس وجدت ، وفي أي صورة ظهرت ، وتمت أي اسم عرفت ، ولكن كتابه عربي والعربية لغة أولئك الوثنيين أعدائه الاقربين ، وفهم معناه موقوف على معرفة أوضاع اللسان

ولا تعرف اوضاعه حتى تعرف مواضع استعمال كالمه وأساليبه ، ولن
 يكون ذلك الا بحفظ ما نطق به العرب من منظوم ومنثور ، وفيه من
 آدابهم وعاداتهم واعتقاداتهم ما يعيد عند الناظر في كلامهم صورة
 كاملة من جاهليتهم ، وما فيها من الوثنية وأطوارها . هكذا صنع
 لمسلمون الاولون — ركبوا الاسفار ، وانفقوا الاعمار ، و بذلوا
 الدرهم ولدينا ، في جمع كلام العرب وحفظه وتدوينه وتفسيره
 وتوسلا بذلك الى فهم كتابهم المنزل فكأوا يعدون ذلك ضربا
 من ضروب العبادة ، يرجون من الله فيه حسن المثوبة ، فكان
 من طبيعة الدين أن لا يحتقر العلم للدين الذي ولد هو فيه . بل قد
 يكون من الدين علم ما ليس منه (١) متى حسنت النية في تناوله . وهذا
 باب من التسامح لا يقدر سمعته الا أهل العلم به أما المسيحيون
 الاولون فقد هجروا لسان المسيح عليه السلام سرا بانيا كان أو
 عبرانيا وكتبوا الانجيل باللغة اليونانية ولم يكتب في العبرية الا
 انجيل متى فيما يقال . ألا ترى ان اسم الانجيل نفسه يوناني ؟ كل
 ذلك كراهة لليهود الذين كان ينطق المسيح بلسانهم ويعظم بلغتهم
 وتخرجوا من النظر في دواوين آدابهم ، وما توارثوا من عاداتهم

(١) اي قد يعد الاسلام من الدين الذي يتقرب به الى الله
 الاشتغال بعلم غير ديني ينية صالحة كنفع الناس به

imp. of
 Arabic
 lang
 role in
 community

الاهمية او المنفعة
 ﴿الأصل الخامس للإسلام﴾
 نسيباً
 ربحاً يسيراً (١) (قلب السلطة الدينية)

يكتفون من اصول الإسلام أنتقل إليه وما أجله من أصل —
 قلب السلطة الدينية والالتيان عليها من أساسها . هدم الإسلام بناء
 تلك السلطة والحلأثوها حتى لم يبق لها عند الجمهور من أهله
 البقية الا ما لم يعلم يروع الإسلام لاحد بعد الله ورسوله سلطانا على
 عقيدة احد ولا يسيطر على إيمانه (على أن الرسول عليه السلام
 كان «سليماً ومنكر الآلهة مهيمناً ولا مسيطراً» قال الله تعالى « فذكر
 إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » ولم يجعل لاحد من أهله
 أن يعقل ولا أن يربط لا في الارض ولا في السماء . بل الايمان يعتق
 المؤمن من كل رقيب عليه فيما بينه وبين الله سوى الله وحده ،
 ويرفع عنه كل رقب الا العبودية لله وحده ، وليس لمسلم مهما علا
 كعبه في الإسلام على آخر مهما انحط منزلته فيه الا حق النصيحة
 والارشاد . قال تعالى في وصف الناجين : « وتواصوا بالحق وتواصوا
 بالصبر » وقال : « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون
 بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » وقال : فلولا

(١) هذا الاصل ضد الاصل الثاني من اصول النصرانية

نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا
 رجعوا اليهم لعلهم يحذرون « فالمسلمون يتناصحون ثم هم يقيمون
 أمة تدعو الى الخير وهم المراقبون عليها يردونها الى السبيل السوي
 اذا انحرفت عنه . وتلك الامة ليس لها فيهم الا الدعوة والتمذكير
 والانذار والتحذير ، ولا يجوز لها ولا لاحد من الناس أن يتبع عورة
 أحد . ولا يسوغ لقوي ولا اضعيف أن يتجسس على عقيدة أحد ،
 وليس يجب على مسلم أن يأخذ عقيدته أو ينقلق أصول ما يعمل به
 عن أحد الا عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم : لكل
 مسلم ان يفهم عن الله من كتاب الله وعن رسوله من كلام رسوله
 بدون توسط أحد من سلف ولا خلف وانما يجب عليه قبل ذلك
 أن يحصل من وسائله ما يؤهله للفهم كقواعد اللغة العربية وآدابها
 وأساليبها وأحوال العرب خاصة في زمان البعثة وما كان الناس
 عليه زمن النبي صلى الله عليه وسلم وما وقع من الحوادث وقت نزول
 الوحي ، وشيء من الناسخ والمنسوخ من الآثار . فان لم تسمح له
 حاله بالوصول الى ما يعده لفهم الصواب من السنة والكتاب فليس
 عليه الا أن يسأل العارفين بهما . وله بل عليه أن يطالب المجيب
 بالدليل على ما يجيب به سواء كان السؤال في امر الاعتقاد أو في حكم
 عمل من الاعمال فليس في الاسلام ما يسمى عند قوم بالسلطة
 لدينية بوجه من الوجوه

﴿ السلطان في الاسلام ﴾

لكن الاسلام دين وشرع فقد وضع حدوداً، ورسم حقوقاً، وليس كل معتقد في ظاهر أمره بحكم يجرى عليه في عمله. فقد يغلب الهوى. وتتحكم الشهوة. فيغمط الحق. أو يتعدى المعتدي الحد. فلا تكمل الحكمة من تشريع الاحكام الا اذا وجدت قوة لاقامة الحدود. وتنفيذ حكم القاضي بالحق. وصون نظام الجماعة. وتلك القوة لا يجوز أن تكون فوضى في عدد كثير فلا بد أن تكون في واحد وهو السلطان أو الخليفة

الخليفة عند المسلمين ليس بالمعصوم. ولا هو مهبط الوحي. لا من حقه الاستئثار بتفسير الكتاب والسنة. نعم شرط فيه أن يكون مجتهداً أي أن يكون من العلم باللغة العربية وما معها مما تقدم ذكره بحيث يتيسر له أن يفهم من الكتاب والسنة ما يحتاج اليه من الاحكام، حتى يتمكن بنفسه من التمييز بين الحق والباطل، والصحيح والفاقد، ويسهل عليه إقامة العدل الذي يطالبه به الدين والامة معاً

هو على هذا — لا ينحصر الدين في فهم الكتاب والعلم بالاحكام
عجزية ولا يرتفع به الى منزلة، بل هو وسائر طلاب الفهم سواء،

إنما يتفضلون بصفاء العقل ، وكثرة الإصابة في الحكم ، (١) ثم
هو مطاع مادام على المحجة ، ونهج الكتاب والسنة ، والمسلمون
له بالمرصاد فاذا انحرف عن النهج أقاموه عليه ، وإذا انحرفوا فقوموه
بالنصيحة والاعذار اليه ، (٢) « لا طاعة لمخلوق في معصية الله »
(٣) فاذا فارق الكتاب والسنة في عمله ، وجب عليهم أن يستبدوا
به غيره ، ما لم يكن في استبداله مفسدة تفوق المصلحة فيه . (٤)
قالامة أو نائب الامة هو الذي ينصبه ، والامة في صاحبه الحق
في السيطرة عليه ، وهي التي تخضعه متى رأت ذلك من مصلحتها ،
فهو حاكم مدني من جميع الوجوه .

ولا يجوز لصحيح النظر ان يخط الخليفة عند المسلمين
بما يسميه الافرنج (تيوكراتيك) أي سلطان إلهي . فان ذلك عديم
هو الذي ينفرد بتلقي الشريعة عن الله وله حق الإمرة بالشرع .

« ١ » المنار من شواهد ذلك ارتفاع قدر العلماء على الخلفاء الذين
قصروا عنهم في الفهم والعلم ، ألم يأتك نبا الامام مالك مع الخليفة هرون
الرشيد « رحمهما الله » وكيف انزل الامام الخليفة عن المنابر وجمع
العامه عند القاء الدرس لانه في رتبة المستفيد « ٢ » من نسخة كتابه
قول الخليفة الاول رضي الله عنه في خطبته « وان زفتة زلومون »
راجع ٧٣٤ من مجلد المنار الرابع « ٣ » حديث رواد البخاري
وغيرها « راجع ٣٢ » من مجلد المنار الرابع « ٤ » مثال ذلك ان يكون له
اقوى من الامة يخشي ان يبدها بها « درع المفاسد مقدم على جاب المصالح »

وله في رقاب الناس حق الطاعة، لا بالبيعة، وما تقتضيه من العدل وحماية الحوزة بل بمقتضى الايمان فليس المؤمن مادام مؤمنا أن يخالفه، وان اعتقد أنه عدو لدين الله، وشهدت عيناه من اعماله ما لا ينطبق على ما يعرفه من شرائعه، لان عمل صاحب السلطان لديني وقوله في أي مظهر ظهرا هما دين وشرع. هكذا كانت سلطة الكنيسة في القرون الوسطى. ولانزال الكنيسة تدعي الحق في هذه السلطة كما سبقت الاشارة اليه

كان من أعمال التمدن الحديث الفصل بين السلطة الدينية والسلطة المدنية فترك للكنيسة حق السيطرة على الاعتقاد والاعمال فيما هو من معاملة العبد لربه: تشرع وتنسخ ما تشاء، وتراقب وتحاسب كما تشاء، وتحرّم وتعطي كما تريد، وخول السلطة المدنية حق التشريع في معاملات الناس بعضهم لبعض، وحق السيطرة على ما يحفظ نظام اجتماعهم، في معاشهم لا في معادهم، وعدوا هذا الفصل منبعا للخير الاعم عندهم. ثم هم يهيمون فيما يرمون به الاسلام من أنه يحتم قرن السلطين في شخص واحد. ويظنون أن معنى ذلك في رأي المسلم أن السلطان هو مقرر الدين، وهو واضع أحكامه وهو منفذها والايمان آلة في يده يتصرف بها في القلوب بالاخضاع، وفي العقول بالاقناع، وما العقل والوجدان عنده الا متاع، ويدينون على ذلك أن المسلم مستعبد لسلطان دينه

وقد عهدوا أن سلطان الدين عندهم كان محارب العلم . ويحمي حقيقة
الجهل ، فلا يتيسر للدين الاسلامي أن يأخذ بالتسامح مع العلم
مادام من أصوله أن إقامة السلطان واجبة بمقتضى الدين . وقد تبين
لك أن هذا كله خطأ محض وبعد عن فهم معنى ذلك الاصل من
أصول الاسلام . وعلمت أن ليس في الاسلام سلطة دينية سوى
سلطة الموعدة الحسنة ، والدعوة الى الخير ، والتنفير عن الشر ، وهي
سلطة خولها الله لادنى المسلمين يقرع بها أنف أعلام ، كما خولها
لاعلام يتناول بها من أدناهم ، ومن هنا تعلم « الجامعة » أن مسألة
السلطان في دين الاسلام ليست مما يضيق به صدره ، وتخرج به
نفسه عن احتمال العلم ، وقد تقدم ما يشير الى ما صنع الخلفاء العباسيون
والامويون الاندلسيون من صنائع المعروف مع العلم والعلماء : وربما
أتينا على شيء آخر منه فيما بعد

يقولون : ان لم يكن للخليفة ذلك السلطان الديني أفلا يكون
القاضي أو المفتي أو شيخ الاسلام ؟ وأقول : إن الاسلام لم يجعل
لهؤلاء أدنى سلطة على العقائد وتقرير الاحكام ، وكل سلطة تناولها
واحد من هؤلاء فهي سلطة مدنية قرررها الشرع الاسلامي ، ولا
يسوغ لواحد منهم أن يدعي حق السيطرة على إيمان أحد أو عبادته
لربه أو ينازعه في طريق نظره

﴿ الاصل السادس للاسلام ﴾

(حـاية الدعوة لمنـع الفتنة)

قالوا : ان الدين الاسلامي دين جهادي شرع في القتال ولم يكن شرع في الدين المسيحي ففي طبيعة الدين روح الشدة على من يخالفه وليس فيها ذلك الصبر والاحتمال اللذان تقضي بهما شريعة المسلمة وهي الشريعة التي وردت فيه كثير من الوصايا المسيحية « من ضربك على خدك الايسر فادر له خدك الايمن من سخرك ميلا فسر معه ميلين » ونحو ذلك ، حتى لقد طلبت فيها محبة العدو مما لا يدخل تحت الاختيار بل ولا محبة الصديق وانما الاختياري العدل بين الاعداء والاولياء . لكن في ملكوت الله كل شيء مستطاع ولا شيء فيه بمستحيل . قلنا : لكن انظروا هل دفع الشر بالشر عند القدرة عليه وعند عدم التمكن من سواه خاص بالدين الاسلامي او هو في طبيعة كل قادر يعذر الى خصمه ؟ . ليس القتل في طبيعة الاسلام بل في طبيعته العفو والمسامحة : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » ولكن القتال فيه لرد اعتداء المعتدين على الحق وأهله الى أن يأمن شرهم ويضمن السلامة من غوائلهم ، ولم يكن ذلك للاكراه على الدين ولا للانتقام من مخالفيه

ولهذا لا تسمع في تاريخ الفتوح الاسلامية ما تسمعه في الحروب
المسيحية ، عندما أقتدر أصحاب «شريعة المسالمة» على محاربة غيرهم
من قتل الشيوخ والنساء والاطفال

لم تنع حرب اسلامية بقصد الابدادة كما وقع كثير من الحروب
بهذا القصد بأيدي المسيحيين . وإنما كان الصبر والمسالمة ديننا عند
ما كانت القدرة والقوة تعوزان الدين . وغاية ما يقال إن العنابة
الالهية منحت الاسلام في الزمن القصير من القوة على مدافعة اعدائه
مالم تمنحه لغيره في الزمن الطويل . فتيسر له في شبيبته مالم يتيسر
لغيره الا في كهولته أو شيخوخته .

﴿ مقابلة بين الاسلام الحربي ﴾

(والمسيحية السلمية)

الاسلام الحربي كان يكتفي من الفتح بادخال الارض المفتوحة
تحت سيطرته ثم يترك الناس وما كانوا عليه من الدين يؤدون ما يجب
عليهم في اعتقادهم كما شاء ذلك الاعتقاد . وإنما يكلفهم بجزية يدفعونها
لتكون عوناً على صيانتهم والمحافظة على أمنهم في ديارهم وهم في
عقائدهم ومعابدهم وعاداتهم بعد ذلك أحرار لا يضايقون في عمل
ولا يضامون في معاملة . خلفاء المسلمين كانوا يوصون قوادهم باحترام
العباد الذين انقطعوا عن المامة في الصوامع والاديار لمجرد العبادة

مصدر الدعوة
يد للبراه
الدين
لا يتطوع
شيم أو مسلكه
مؤيد

كما كانوا يوصونهم باحترام دماء النساء والاطفال ، وكل من لم يعن على القتال ، جاءت السنة المتواترة بالنهي عن ايداء أهل الذمة وبتقرير ما لهم من الحقوق على المسلمين « لهم مالنا وعليهم ما علينا » و « من آذى ذميا فليس منا » واستمر العمل على ذلك ما استمرت قوة لاسلام . ولست أبالي اذا انحرف بعض المسلمين عن هذه الاحكام ، عند ما بدأ الضعف في الاسلام ، — وضيق الصدر من طبع الضعيف — فذلك مما لا يلبصق بطبيعته ، ويخاطب بطبيعته

مرادهم صديقا
عورة القاعة

المسيحية السلمية كانت ترى لها حق القيام على كل دين يدخل تحت سلطانها تراقب أعمال أهله وتخصصهم دون الناس بضروب من المعاملة لا يحتملها الصبر مهما عظم . حتى اذا تمت لها القدرة على طردهم ، بعد العجز عن إخراجهم من دينهم وتعميدهم ، أجلتهم عن ديارهم ، وغسلت الديار من آثارهم ، كما حصل ويحصل في كل أرض استولت عليها أمة مسيحية استيلاء حقيقيا

لا يمنع غير المسيحي من تعدي المسيحي الا كثرة العدد ، أو شدة العصد ، كما شاهد التاريخ وكما يشهد كتابه . ذلك كله لانه ما جاء ليلقي سلاما بل سيفا ولانه جاء ليفرق بين البنت وأمها والابن وأبيه (١)

(١) هذا نص انجيل متى في هذا . ومثله قول انجيل لوقا ١٤ —

٢٥ و ٢٦ (وقال لهم) يسوع ان كان احد ياتي الي ولا يبغض اباه ليس بمعنى كره وأمه وامراته واولاده واخوته واخوانه حتى نفسه ايضا فلا يقدر ان بل بمعنى تفضيل الله مع جميعه

وقال عند تعبيركم اسمك الوهم لله

والاسلام بقول كتابه في شأن الوالدين المشركين: (وان جاهدك على أن
تترك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل
من أناب الي) فهو في اشتراده على المهديين لامته لا يقضي بالفرقة

يكون لي تلميذا) وفي الباب ١٩ من هذا الانجيل مانصه (٢٧ اما
اعدائي اولئك الذين لم يريدوا ان أمك عليهم فاتوا بهم الي هنا
واذ محوهم قدامي). واما اسفار التوراة فقد جاء فيها نحو ذلك في القسوة على
الاهلين المخالفين وعلى سائر المحاربين. قال في ١٣ : ٩ من تثنية
الاشتراع (واذا اغواك سرا اخوك ابن امك او ابنتك او امرأة
حضنك او صاحبك الذي مثل نفسك قائلا نذهب ونعبد آلهة اخرى
لم تعرفها انت ولا آباؤك من آلهة الشعوب القريبين منك او البعيدين
عنا من اقضاء الارض الى اقصائها فلا ترض منه ولا تسمع له ولا
تشفق عينك عليه ولا ترق له ولا تستره بل قتلا تقتله : الخ)

وفي سفر التثنية ايضا (٢٠ : ١٠ - ١٦) مانصه (حين تقرب
من مدينة لتحاربها الى الصباح فان اجابتك الى الصلح وفتحت لك
فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك . وان لم
تسلمك بل عملت معك حربا فحاصرها واذادفعها الرب الهك الى يدك
فاضرب جميع ذكورها بحد السيف واما النساء والاطفال والبهاائم وكل
ما في المدينة كلها غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمتها اعدائك الذي
اعطاك الرب الهك . وهكذا تفعل بجميع المدن البعيدة جدا منك
التي ليست من مدن هؤلاء الامم هنا . واما مدن هؤلاء الشعوب
التي يعطيك الرب الهك نصيبا فلا تستبق منهم نسمة ما)

بين أب وابن ولا بين أم وبنت : بل يأمر الاولاد المؤمنين أن
يصحبوا الوالدين المشركين بالمعروف في الدنيا مع محافظتهم
على دينهم

فأنت ترى الاسلام من جهة يكتفي من الامم والطوائف
التي يغلب على أرضها بشيء من المال أقل مما كانوا يؤدونه من قبل
تغلبه عليهم؟ وبأن يعيشوا في هدوء لا يعكرون معه صفو الدولة
ولا يخلون بنظام السلطة العامة . ثم يرخي لهم بعد ذلك عنان الاختيار
في شؤونهم الخاصة بهم لارقيب عليهم فيها الاضاثهم . ومن
جهة أخرى ينهى أفراد المؤمنين عن مقاطعة ذوي قرباهم من
المشركين و يطالبهم بحسن معاملتهم . ففي طبيعته أن يكل أمر
الناس في سرائرهم الى ربهم ، وفي طبيعته أن يجير من لا يعتقد
عقيدته ، ويحمي من لا يتبع سنته ، وان كان في عمى من الجهالة
وخبل من الضلالة و أفترى أنه يصعب عليه بعد ذلك أن يحتمل
العلم والعلماء و يضيق به حمله عن صنع الجميل بالفضل والفضلاء ،
ممن ينفق عمره في تقرير حقيقة ، أو كشف غامض أو تبين طريقة
كلا ثم كلا ، فمن بحث ونقب ، وسبر ونقر ، أو شق الارض ،
أو ارتقى الى السماء ، فهو في أمن من أن يمرض الاسلام له في
شيء من عمله الا أن يحدث شغبا ، أو يفسد أدبا ، فعند ذلك
تمتد يدك الملك لرد كيد الكائد ، واصلاح الفاسد ، بسماح من الدين

﴿ الأصل السابع للإسلام ﴾

(مودة المخالفين في العقيدة) (١)

توفى ٦٩

المصاهرة - أباح الإسلام للمسلم أن يتزوج الكتابية نصرانية
 كانت أو يهودية وجعل من حقوق الزوجة الكتابية على زوجها
 المسلم أن تتمتع بالبقاء على عقيدتها ، والقيام بفروض عبادتها .
 والذهاب الى كنيسها أو بيعتها وهي منه بمنزلة البعض من الكل
 وألزم له من الظل ، وصاحبته في العز والذل ، والترحال والحل ،
 ورعاية نفسه ، وأميرة بيته ، وأم بناته وبنيه ، تتصرف
 فيهم كما تتصرف فيه ، لم يفرق الدين في حقوق الزوجية بين الزوجة
 المسلمة والزوجة الكتابية . ولم تخرج الزوجة الكتابية باختلافها في
 المعقيدة مع زوجها من حكم قوله تعالى : « ومن آياته ان جعل لكم
 من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في
 ذلك لآيات لقوم يتفكرون » فلها حظها من المودة ، ونصيبتها من
 الرحمة وهي كما هي ، وهو يسكن اليها كما تسكن اليه وهو لباس لها
 كما أنها لباس له أين أنت من صلة المصاهرة التي تحدث بين أقارب
 الزوج وأقارب الزوجة وما يكون بين الفريقين من الموالاة والمناصرة

صحيح له أما
 فخرنا في دينك
 مع اننا فعلت
 بيت عبد الله
 الفقه والحق
 رة للإسلام
 راقر الإسلام
 اوهو يهاجر يقينا
 المحمدي

(١) هذا الأصل الاسلامي هو ضد الأصل السادس للنصرانية (راجع ٢٨)

علي ما عهد في طبيعة البشر؟ وما أجلى ما يظهر من ذلك بين الأولاد وأخوانهم، وذوي القربى لو التهم، أيغيب عنك ما يستحكم من ربط الالفة بين المسلم وغير المسلم بأمثال هذا التسامح الذي لم يعهد عند من سبق ولا فيمن لحق من أهل الدينين السابقين عليه (١) ولا يخفى على صحيح النظر أن تقرير التسامح على هذا الوجه في نشأة الدين مما يعود القلوب على الشعور بأن الدين معاملة بين العبد وربّه، والعقيدة طور من أطوار القلوب، يجب أن يكون أمرها بيد علام الغيوب، فهو الذي يحاسب عليها وأما المخلوق فلا تطول يده اليها، وغاية ما يكون من العارف بالحق أن ينبه الغافل، ويعلم الجاهل، وينصح للغاوي ويرشد الضال. لا يكفر في ذلك نعمة العشير ولا يسلك به مسالك التعسير ولا يقطع أمل النصير ولا يخالف سنة

(١) المنار — يقول بعض النصارى: إذا كان الإسلام أباح للمسلم أن يتزوج بالمكتاتبية ليعلم البشر التالف والتعاطف مع التباين في العقيدة والتخالف. فلماذا لم يسمح للمكتاتبي أن يتزوج بالمسلمة لهذا الغرض؟ والجواب أن الرجال قوامون على النساء لأنهم اقوى منهم فليس من العدل ولا من الرحمة أن يسمح لقوي يفرق دينه بينه وبين زوجته الضعيفة ويأمره ببغضها وبغض اولاده ووالده اذا خالفوا عقيدته ان يتزوج بامرأة مخالفة. اباح الاسلام ذلك لمن يعمل بما امر من العدل والرحمة وهو المسلم

الوفاء ولا يجيد عن شرائع الصدق في الولاء

ماذا ترى في الزوجة الكتابية لو كانت من أهل النظر العقلي
 وذهبت مذهباً يخالف مذهب زوجها . أفينقص ذلك من مودته
 لها؟ أو يضعف من شعور الرحمة التي أفاضها الله بينه وبينها فاذا كان
 المسلم يتعود الاحتمال بل يتعود المحبة والنصرة لمن يخالفه في عقيدته
 ودينه وملته ويألف مخالطته وعشرته وولايته ونصرته . أتراه لا يحتمل
 أن يرى بجواره من يعمل نظره في نظام الخليفة ليصل منه الى اكتشاف
 سر؟ أو تقرير أصل في علم أو قاعدة لصناعة؟ إن كان قد يخالف ظاهراً
 مما يعتقد؟ أو يميل الى رأي غير الذي يجد؟ أفلا يسع هذا ما يسع
 المجاهر بالخلاف وهو معه على ما رأيت من الائتلاف .؟؟

لو ذهبت أعد مافي طبيعة الاسلام من عناصر وأركان كلها
 تؤلف مزاج الكرم وتكون حقيقة المسامحة مع العلم لا طلت على القارىء
 أكثر مما أطلت . ولهذا أرى من الواجب علي أن أختم القول
 بذكر أصل أشرت اليه ولا غنى لما نحن فيه من ذكره

✽ الاصل الثامن للاسلام ✽

(الجمع بين مصالح الدنيا والآخرة) (١)

الصحة — الحياة في الاسلام مقدمة على الدين . أوامر الخنيفية

(١) هذا الاصل ضد الاصل الثالث للنصرانية (راجع ص ٢٤)

السمحة ان كانت تختطف العبد الى ربه وتلا قبايه من ربهه
وتفعم أمله من رغبه فهي مع ذلك لا تأخذه عن كسبه ولا تحرمه من
التمتع به ولا توجب عليه تقشف الزهادة ولا تجشمه في ترك اللذات
ما فوق العادة

صاحب هذا الدين صلى الله عليه وسلم لم يقل « بع ما تملك
واتبعني » ولكن قال لمن استشاره فيما يتصدق به من ماله « الثلث
والثلث كثير ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة
يتكففون الناس » (٢)

الرخص — فرض الصوم على المؤمنين ان كان اذا خشي منه
المرض أو زيادته أو زادت المشقة فيه جاز تركه بل قد يجب اذا
غلب على الظن الضرر فيه . الوضوء والغسل من شروط الصحة
للصلاة الا اذا خشي منه الضرر أو عرضت مشقة في تحصيل الماء . القيام

(٢) المنار — يشير الكاتب الى حديث سعد بن أبي وقاص رضي
الله عنه وقد رواه البخاري ومسلم واصحاب السنن الاربعة . كان سعد
مريضاً في حجة الوداع فعاده النبي صلى الله عليه وسلم وكان عازماً
على الصدقة بثلثي ماله وفي رواية بماله كله فسأله النبي عما ترك لولده فقال
هم أغنياء . وفي رواية الجماعة انه لم يكن له الابنت . وفي رواية احمد
والنسائي انه امره اولاً بان يتصدق بالعشر . والحاصل انه مازال
يراجعه حتى رضي صلى الله عليه وسلم بالثالث وحرّم الزيادة بالحديث

عمالا تصح الصلاة الا به إلا اذا أصابت المصلي مشقة فيه فيسقط
ويصلي قاعدا . السعي الى الجمعة واجب الا اذا كان وحل غزير أو
مطر كثير أو ما يوجب تعباً ومشقة فيسقط . وهكذا تجد القاعدة
قد عمت «صحة الابدان ، مقدمة على صحة الاديان» فترى الدين
قد راعى في أحكامه سلامة البدن كما أوجب العناية بسلامة الروح
الزينة والطيبات — أباح الاسلام لاهله التجميل بأنواع الزينة
والتوسع في التمتع بالمشتميات ، على شريطة القصد والاعتدال وحسن
النية ، والوقوف عند الحدود الشرعية ، والمحافظة على صفات الرجولية
جاء في الكتاب العزيز (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد
وكلوا وشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين * قل من حرم زينة
الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هي للذين آمنوا في
الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون *
قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير
الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا
تعلمون) (سورة الاعراف)

ثم عد الله نعمه والجمال والزينة من نعمه علينا التي يذكرنا بها
فضله . ويهيج بها نفوسنا لذكره وشكره . كما قال : « والانعام خلقها
لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون * ولكم فيها جمال حين تريحون
وحين تسرحون * وتحمل أثقالكم الى بلدكم تكونون بالغيه الا بشق

الانفس ان ربكم لرؤف رحيم * والخيل والبغال والحمير لتركبوها
وزينة ويخلق ما لا تعلمون» ثم قال : «وهو الذي سخرا البحر لتأكلوا
منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه
ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون» (سورة النحل)
الاقتصاد --- ووضع قانونا للانفاق وحفظ المال في قوله :
«إن المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا
ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما
محسورا» (سورة الاسراء)

النهى عن الغلو في الدين

وخشي على المؤمن أن يغلو في طلب الآخرة فيهلك دنياه
وينسى نفسه منها فذكرنا بما قصه علينا ان الآخرة يمكن نيلها مع
التمتع بنعم الله علينا في الدنيا اذ قال : «وابنغ فيما آتاك الله الدار
الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك
ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين» (سورة القصص)
فترى ان الاسلام لم يبغس الحواس حتمها كما أنه هياً الروح
لبلوغ نالها . فهو الذي جمع للانسان أجزاء حقيقته واعتبره حيوانا
ناطقاً ، لا جسمانيا صرفاً ، ولا ملكوتياً بحتاً . جعله من أهل الدنيا كما

هو من أهل الآخرة . واستبقاه من أهل هذا العالم الجسداني . كما دعاه الى أن يطلب مقامه الروحاني . أليس يكون بذلك وبما بينه في قوله . «هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا» قد أطلق القيد عن قواه . لتصل من ربه الحياة (مع القصد) الى منتهاها والنفوس مطبوعة على التنافس ، قد غرز فيها حب التسابق فيما تعتقده خيراً أو تجده لذيداً أو تظنه نافعاً

وليس في الغزيرة الانسانية أن يقف بها الطلب عند حد محدود ، أو ينتهي بها السعي الى غاية لا مطلع للارغبة وراءها بل خصها الله بالمسكنة من الرقي في أطوار الكمال من جميع وجوهه الى ماشاء الله أن ترقى بدون حد معروف

نتيجة — فاذا جمع سائق الانفس ومزجها . ومرشدها وهاديتها بين شاحدين شاحذ المتمتع بمتاع الحياة الدنيا . وشاحذ الرغبة في النعيم الدائم في الآخرة ، فقد جمع لها كل ما يسمو بها عن الرضاء في الدنيا بالدون وفي الآخرة بعذاب الهون فتري كل نفس تمضي مع استعدادها بشهامة فؤادها مضاء الزميع (١) لا تخشى العثرة بالوعيد ولا تقعد عن مطلبها قعدة الرعيد (٢) فتطلب منافعها من هذا الكون الذي وجدت فيه ووجد لها فتسير في مناكب الارض ولا

«١» هو الحازم القوي العزيمة يرمع على الامر فيمضي فيه ولا ينتهي
والجيد الراي المقدم «٢» الرعيد الجبان الكثير الارتعاد

تكتفي عن الكل بالبعض وتبحث في تربتها ولا يقف بها ظاهرها
 عن باطنها، ولا يحجبها ظهرها عن مديدها الى مافي جوفها ولا تجد
 ما يصددها عن النظر في الهواء، والبحث في الماء، والاهتداء بنجوم
 السماء، بعد معرفة مواقعها وحركانها في مداراتها واستقامتها، وانحرافها
 وظهورها وخنوسها، وبالجملة فكل مستعد لوجه من وجوه النظر أو
 الولوج في باب من أبواب العلم. ينطلق الى حيث يبلغ به استعداد
 إما للنجاة من ضرورة وإما لاستتمام منفعة أو استكمال لذة لا يجد من
 نواهي الدين ما يصدده عن مطالب ولا ما يكف يده عن تناول رغبة،
 أين هذا من ذلك الذي لا يرى الخلاص الا في مجافاة هذا العالم
 ولذائده، ويجدان الغنى والثروة من الحجب التي لا تحرق، تحول بينه
 وبين ملكوت السموات

كيف يتسنى للمسلم أن يشكر الله حق شكره، اذا لم يضع العالم
 بأسره تحت نظر فكره لينفذ من ظاهره الى سره، ويقف على قوائمه
 وشرائعه، ويستخدم كل ما يصلح لخدمته في توفير منافعه؟ كيف يشكر
 الله اذا توانى في ذلك وقد أرشده الله في كتابه وبسنة نبيه الى أن
 عالمه إنما خلق لاجله، وقد وضعه الله تحت تصرف عقله. انظر الى
 لطف الاشارة في الآية المتقدمة «قل من حرم زينة الله» الخ حيث
 قال: «كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون» فأهل العلم هم الذين
 يعرفون مقدار نعم الله تعالى فيما يرفه به معيشتهم ويحبل به هيئاتهم
 ويحلي به زينتهم

المسلمون مسوقون بنابل من دينهم الى طلب ما يكسبهم الرفعة
والسوؤدد والعزة والمجد ولا يرضيهم من ذلك مادون الغاية . ولا
يتوفر شيء من وسائل ذلك الا بالعلم - فهم محفوزون أشد الحفز الى
طلب العلم وتلمسه في كل مكان وتلقيه من أية شفة وأي لسان فاذا
لاقاهم العالم في أي سبيل . أو عثروا به في أي جبل : أو ظهر لهم
من أي قبيل هشواله وبشوا ونصبوا اليه وكشوا (١) وشدوا
به أو اصروهم . وعقدوا عليه خناصرهم ولا يبالون ماتكون عقيدته .
إذا نفعتهم حكمته « الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق
بها » (٢) ألم يأتهم عن ربهم : « يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب » ألم
يسمعوا في وصفهم قوله : « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه »
ذلك شأن المسلم مع العلم اذا كان مسلما حقا وذلك ما تنجر اليه طبيعة
دينه . وحديث « اطلبوا العلم ولو بالصين » (٣) ان كان في سند لفظه

(١) المنار — اعل نصبوا من نصب السير وهو أن يسير طول يومه
سيرا الينا . وكمش الرجل كان سر يعا ماضيا . وكمش كمشة شجع واسرع
(٢) حديث رواه الترمذي عن أبي هريرة ورواه غيره بالفاظ أخرى
والمعنى واحد . ومنه رواية موقوفة على ابن عمر رضي الله عنهما « خذ
الحكمة ولا يضر كامن أي وعاء خرجت » وفي رواية عن علي كرم
الله وجهه « الحكمة ضالة المؤمن فخذ الحكمة ولو من اهل النفاق
(٣) رواه ابن عدى في الكامل والبيهقي في شعب الايمان والمدخل وابن

الى النبي صلى الله عليه وسلم مقال فسند معناه متواتر فانه سند
القرآن نفسه فان الله يفضل العلم وأهل العلم بدون قيد ولا تخصيص
فالمسلم مطالب بطلب العلم ولو في الصين ولم يكن في الصين مسلم على
عهد النبي صلى الله عليه وسلم

لا شيء ينقلب عند النفس الانسانية لذة بنفسه وان كان في
أول أمره مطلوباً لغيره ، مثل العلم ، تطلب العلم أولاً لحاجتك اليه
في تقويم معيشة ، أو ترفيه حال . أو دفاع عن نفس وملة ثم لا تلبث
إذا أو غلت فيه أن تجد اللذة في العلم نفسه فتصير اللذة بتحصيله
والوصول الى دقائقه غاية تقصد بنفسها ، وتضمحل فيها كل غاية
سواها ، وعلّة ذلك ظاهرة فان العلم مسرح نظر العقل ، والعقل قوة من
أفضل القوى الانسانية ، بل هي أفضلها على الحقيقة . وقد وضع له
العلم الحكيم لذة كما منح لكل قوة سواها نعماً ولذة . ولست في
حاجة الى تعديد لذة البصر أو السمع أو الشم أو الذوق أو اللمس
فالحيوان يعرفها بله الانسان وكلاءظم اختصاص القوة بالنوع عظمت
لذته باستعمالها فيما وجهت له فيمكنك أن تستنتج من ذلك أن
لا شيء عند الانسان ألد من كشف المجهول واحراز المعقول وقد
سمح الاسلام للمسلم أن يتمتع في هذه الحياة الدنيا بما يلذ له مع
عبد البر في العلم والخطيب في الرحلة والديلمي في مسند الفردوس
وغيرهم وله طرق كثيرة يقوي بعضها بعضها

القصد والاعتدال . أفلا يكون من لذائذه ومتممات نعمه أن يسبح في مملكة العلم ليمتع عقله . كما يسبح في بساط الارض ليكسب رزقه ويقيم أهله على أن العلم كان من ضروريات معيشة المسلم أو حاجياتها كما ذكرنا فإذا طفق يستنبط مائه للضرورة . ويستجلي سناءه للحاجة فلا يلبث أن يصير هو حاجة نفسه وشاغاه عن حاجات حسه حتى يدخل معه في رمسه كما وقع لكثير من المسلمين .
قال إمام جليل من أئمتهم « طلبنا العلم لغير الله فإني أن يكون
« الا الله »

﴿ نتائج هذه الاصول ﴾

(وآثارها في المسلمين)

الى م أفضت طبيعة الاسلام بالمسلمين ؟ وماذا كان أثرها في أسلافهم الاولين ؟ — فتح عمرو بن العاص رضي الله عنه مصر واستولى بجيشه على الاسكندرية بعد لحاق النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالرفيق الا على بست سنوات في رواية وتسع سنوات في رواية أخرى والاسلام في طلوع فجره وتفتح نوره . فكان من بقايا ما تركت الازمان الاولى رجل مسيحي من اليعقوبيين اسمه يوحنا النحوي كان في بدء امره ملاحا يعبر الناس بسفينته وكان

يعيل الى العلم بطبيعته فاذا ركب معه بعض أهل العلم أصغى الى
مذاكرتهم . ثم اشتد به الشوق فترك الملاحة واشتغل بالعلم وهو
ابن أربعين سنة فبلغ فيه ما لم يبلغه الناشئون فيه من طفوليتهم وقد
أحسن من العلم نوناً كثيرة حتى عد من فلاسفة وقته
وأطبائه ومناطقته

يقول كثير من مؤرخي الغربيين ومؤرخي المسلمين : ان عمرو
ابن العاص سمع به فاستدناه منه وأكرمه لعلمه ووقعت بينهما محبة
ظهر أمرها واشتهر حتى قال أحد فلاسفة الغربيين : « ان المحبة
التي نشأت بين عمرو بن العاص فاتح مصر ويوحنا النحوي ترينا
مبلغ ما يسمو اليه العتل العربي من الافكار الحرة والرأي العالي :
بمجرد ما اعتق من الوثنية الجاهلية ودخل في التوحيد الحمدي
أصبح على غاية من الاستعداد للجولان في ميادين العلوم الفلسفية
والادبية من كل نوع »

خالط المسلمون أهل فارس وسورية وسواد العراق وأدخلوهم
في أعمالهم ولم يمنعهم الدين عن استعمالهم حتى كانت دقاتهم بالرومية
في سورية ولم تغير بالعربية الا بعد عشرات من السنين فاحتكت
الافكار بالافكار وأفضت سماحة الدين الى أن أخذ المسلمون
في دراسة العلوم والفنون والصنائع

﴿ اشتغال المسلمين ﴾

(بالعلوم الادبية ثم العقلية)

بعد عشرين سنة من وفاته عليه الصلاة والسلام أخذ الخليفة
 علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يحض على تعليم الآداب العربية
 ويطلب وضع القواعد لها لما رأى من حاجة الناس الى ذلك . واخذ
 المسلمون يتحسسون نور العلم في ظلام تلك الفتن استرسالاً مع
 ما يدعوه اليه دينهم ، وتنبههم لطلبه شر يعتمهم . وان كانت الحروب
 الداخلية التي اشتعلت نارها في أطراف بلادهم للنزاع في أمر الخلافة
 قد شغلتهم عن كل شيء من مصالحهم فانها لم تشغلهم عن تعلم
 العلوم والتناول منها بالتدريج على سنة الفطرة . فالبراعة في الآداب
 من علم بوقائع العرب وتاريخهم وقول الشعر وانشاء البليغ من النثر
 قد بلغت في خلافة بني أمية مبلغاً لم يتبعه أمة قط في مثل مدتها ،
 وكان الخلفاء الامويون يعلون منزلتها ويرفعون مكانات الشعراء
 والخطباء والعلماء بالسير . ثم ظهرت آثار العلوم العقلية في آخر
 دولتهم وترجمت جملة من السكتب العقلية والصناعية قبل نهاية
 القرن الاول

نقل الخلفاء الامويون دار الخلافة من المدينة الى الشام ولم

يسيروا في الزهد سيرة الخلفاء الراشدين فقد جاء رسول من الفرس الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما سأل عنه دل عليه فذهب اليه فاذا هو نائم على الارض تحت نخل البقيع بين الفقراء ، وجاءت رسل الملوك الى معاوية رحمه الله فاذا هو في قصر مشيد محلي البنيان بأجمل ما يكون من الصنعة العربية ، مزين بالجنات والرياض وينابيع الماء ، مفروش بأحسن الفرش ، يرى الناظر فيه أفخر الاثاث والرياش ، ولم يكن معاوية في ذلك قد خاف لدين أو حاد عن طريقه وإنما تناول مباحا وتمنع برخصة آتاه الله اياها ، ولا يخفى ما في ذلك من ترويج فنون الابداع في الصنعة على اختلاف ضروبها

﴿ اشتغالهم بالعلوم الكونية ﴾

(في أوائل القرن الثاني)

انقضت دولة بني أمية والناس في ظلمات من الفتن كما قلنا ودالت الدولة لبني العباس واستقرت في نصابها من آل بيت النبي قرب نهاية الثلث الاول من القرن الثاني للهجرة (سنة ١٣٢) ثم نقل المنصور عاصمة الملك الى بغداد فصارت بعد ذلك عاصمة العلم والمدنية أيضا وأخذ المنصور أيضا بنشئ المدارس للطب والشريعة ، وكان قد جعل من زمنه ما ينفعه في تعلم العلوم الفلكية ، وأكمل حفيده الرشيد ما شرع

فيه وأمر بأن يلحق بكل مسجد مدرسة لتعليم العلوم بأنواعها، وجاء
 المأمون فوصلت به دولة العلم الى أوج قوتها، ونالت به أكبر ثروتها
 ويقال انه حمل الى بغداد من الكتب المكتوبة بالقلم ما يتقل مئة
 بعير وكان من شروط صلاحه مع ميشيل الثالث أن يعطيه مكتبة
 من مكاتب الاستانة فوجد مما فيها من النفائس كتاب بطليموس
 في الرياضة السماوية فأمر المأمون في الحال بترجمته وسموه بالمجسطي
 ولا يسهل على كاتب احصاء ما ترجم من كتب العلوم على اختلافها
 في دولة بني العباس أبناء عم الرسول صلى الله عليه وسلم (١)

﴿ انشاؤهم دور الكتب العامة والخاصة ﴾

وقد أخذت دول الاسلام تعني بديار الكتب عناية لم يسبقها
 مثلها من دول سواها حتى كان في القاهرة في أوائل القرن الرابع
 مكتبة تحتوي على مئة الف مجلد منها ستة آلاف في الطب والفلك
 لا غير . وكان من نظائرها أن تعار بعض الكتب للطلبة المقيمين في
 القاهرة وكان فيها كرتان سماويتان احدهما من الفضة يقال ان
 صانعها بطليموس نفسه وأنه انفق فيها ثلاثة آلاف دينار . والثانية
 من البرنز، ومكتبة الخلفاء في أسبانيا بلغ ما فيها سنت مئة الف مجلد
 (١) يلاحظ ان اشد اولئك الخلفاء عناية بالعلوم والفنون هم اعلمهم
 بالدين الاسلامي واشدهم محافظة عليه

وكان (فهرستها) أربعة وأربعين مجلداً وقد حققوا أنه كان في أسبانيا
وحدها سبعون مكتبة عمومية وكان في هذه المكتب مواضع خاصة
للمطالعة والنسخ والترجمة

وبعض الخاصة كانوا يولعون بالكتب ويجعلون ديارهم معاهد
دراسة لما تحتوي عليه يقال ان سلطان بخارى دعا طبيباً اندلسياً ليزوره
فأجابه ان ذلك لا يمكنه لان كتبه تحتاج الى أربعائة جمل لتحملها
وهو لا يستغني عنها كلها. وكان حنين بن اسحق النسطوري في
بغداد ممن جعل في داره مكتبة عامة يمد اليها طلاب العلوم العقلية
والرياضية وكان يتبرع بمذاكرتهم فيما يريدون المذاكرة فيه

﴿ انشأؤهم المدارس للعلوم وكيفية التدريس ﴾

غطي بسيط المملكة الاسلامية على سعتها بالمدارس . نقول
« على سعتها » لانها زادت في السعة على المملكة الرومانية بكثير
فكنت تجد المدارس في كل الاقطار : في المذول ، في التتار ، من
جهة المشرق ، في مرا كش ، في فاس . في اسبانيا ، من جهة المغرب
كانت طريقة الاساتذة في التدريس ان كل مدرس يعد
درسه ويكتب في الموضوع الذي يلقي الدرس فيه ما يريد ان يكتب
ثم يلقيه على التلاميذ وهم يكتبون عنه ثم تكون هذه الدروس
كتباً وأمالى تنشر بين الناس في كل علم . وهنا نبادر الى القول بأن

المؤرخين قد أجمعوا على أن جميع المقالات والكتب كانت تنشر ويتداولها الناس بدون أدنى مراقبة ولا حرج ولا نقص شيء مما كتب صاحب الكتاب غير أن مؤرخا واحدا رأته ذكر انه قد وضع قانون في بعض الممالك الاسلامية لنشر كتب العقائد مقتضاه أن لا ينشر منها شيء الا باذن على أني لا أعلم شيئا من ذلك وقع في الممالك الاسلامية أيام كان الاسلام إسلاما

نرجع الى الكلام في المدارس الاسلامية يقول (جبوت) في كلامه على حماية المسلمين للعلم في الشرق وفي الغرب: « ان ولاة الاقاليم والوزراء كانوا ينافسون الخلفاء ، في اعلاء مقام العلم والعلماء ، وبسط اليد في الانفاق على إقامة بيوت العلم ومساعدة الفقراء على طلبه وكان عن ذلك أن ذوق العلم ووجدان الذة في تحصيله قد انتشر في نفوس الناس من سمرقند وبخارى الى فاس وقرطبة . أنفق وزير واحد لاجل السلاطين (هو نظام الملوك) مئتي الف دينار على بناء مدرسة في بغداد وجعل لها من الربح يصرف في شؤونها خمسة عشر ألف دينار في السنة. وكان الذين يغنون بالمعارف فيها ستة آلاف تلميذ فيهم ابن أعظم العظام في المملكة وابن أفتر الصناع فيها غير أن الفقير ينفق عليه من الربح المخصص للمدرسة وابن الغني يكتفي بمال أبيه والمعلمون كانوا ينقدون رواتب وافرة » اه

انقسمت الممالك الاسلامية في زمن من الازمان الى ثلاثة
اقسام وتنازع الخلافة ثلاث شيع كان العباسيون في آسيا (الشرق)
والامويون في الاندلس من أوربا (الغرب) والفاطميون في مصر
من افريقيا (الوسط) ولم يكن تنافس هذه الدول الثلاث قاصرا
على الملك والسلطان ولكن كان التنافس أشد التنافس في العلم
والادب وكان مرصد سمرقند قائما في ناحية المشرق يشير الى
ما كان عليه المشرقيون من العناية برياضة الافلاك ، ومرصد
جيرالد في الاندلس يجيبه بأن أهل المغرب ليسوا بأحط منهم
في الادراك ،

جميع المدارس في البلاد الاسلامية أخذت نظام الامتحان في
المدارس الطبية من مدرسة الطب في القاهرة. وكان من أشد النظم
وأدقها ، ولم يكن طبيب أن يمارس صناعته الا على شريطة أن
تكون بعد شهادة بأنه فاز في الامتحان على شدته ، وأول مدرسة
طبية أنشئت في قارة أوربة على هذا النظم المحكم هي التي أنشأها
العرب في (سالييرن) من بلاد ايطاليا وأول مرصد فلنكي أقيم في أوربا
هو الذي أقامه العرب في أشبيلية من بلاد اسبانيا

ولع المسلمون بالعلوم الكونية على اختلافها ، والفنون الادبية
بجميع أنواعها ، حتى القصص والاساطير الخيالية ، في الاحوال
الاجتماعية . وابتدأوا بأخذ العلم عن اليونانية والسريانية وأخذوا

ينقلون كتب الاولين من تلك الالسن الى اللغة العربية بالترجمة
الصحيحة. وكان مترجموهم في أول الامر مسيحيين وص بئين وغيرهم
ثم تعلم كثير من علماء المسلمين اللسان اليوناني واللاتيني وكتبوا
معاجم في اللسانين وذلك كله ليأخذوا العلوم من أصولها وينقلوها
الى لسانهم على حسب ما يصل اليه منهم فيها. وكان العلماء لا يبنون
العضاء في أول الامر من المسيحيين واليهود، ثم أنشئت المدارس
الجامعة وكان المدرسون فيها من كل ملة ودين كل يعلم العلم الذي
عرف هو بالبراعة فيه

﴿ علوم العرب واكتشافاتها ﴾

كان علم العرب في أول الامر يونانيا لـكنه لم يثبت كذلك الا
دون قرن واحد ثم صار عربيا ولم يرض العربي أن يكون تله هذا
لارسطو وألاطون أو اقليدس أو بطليموس زمنا طويلا كما بقي
الاوربي كذلك عشرة قرون كاملة من التاريخ المسيحي
قالوا: إن (باكون) هو أول من جعل التجربة والمشاهد قاعدة
للعلم العصرية أو أقامها مقام الرواية عن الاساتذة والتمسك بأراء
المصنفين. وأطلق العلم من رق التقليد: ذلك حق في أوربا وأما
عند العرب فقد وضعت هذه القاعدة عندهم لبناء العلم عليها في أواخر
القرن الثاني من الهجرة.

أول شيء تميز به فلاسفة العرب عن سواهم من فلاسفة الأمم هو بناء معارفهم على المشاهدات والتجربيات، وأن لا يكتبوا بمجرد أقدمات العقلية في العلوم ما لم تؤيدها التجربة حتى لقد نقل جوستاف لوبون عن أحد فلاسفة الأوربيين أن القاعدة عند العرب هي « جرب وشاهد ولاحظ تكن عارفا » وعند الأوربي إلى ما بعد القرن العشر من التاريخ المسيحي « اقرأ في الكتب وكرر ما يقول الأساتذة تكن عالما » (فلينظر المصريون وغيرهم من الشرقيين كيف انقلبت الحال وماذا أعقب من سوء المآل)

قال (ديلامبر) في تاريخ علم الهيئة: « إذا عدت في اليونانيين اثنين أو ثلاثة من الراصدين أمكنك أن تعد في العرب عددا كبيرا غير محصور » وأما في الكيمياء فلا يمكنك أن تعد مجربا واحدا عند اليونانيين ولكنك تعد من المجربين مئتين عند العرب، لهذا عدت الكيمياء الحقيقية من اكتشاف العرب دون سواهم. وقد كانوا يعدون الهندسة والفنون والرياضة من الآلات المنطقية، يستعملونها في الاستدلال على القضايا النظرية. وهي من أصدق الأدلة في الإيصال إلى المجهولات كما هو معروف

العرب هم أول من استعمل الساعات الدقاقة للدلالة على أقسام الزمن وهم أول من أتقن استعمال الساعات الزوالية لهذا الغرض قد اكتشفوا قوانين أثقل الأجسام جامدها ومائعها حتى وضعوا لها

جداول في غاية الدقة والصحة كما وضعوا جداول الارصاد الفلكية وكانت
تلك الجداول معروفة يطالع اعيان الناظرين في سمرقند وبغداد وقرطبة
حتى لقد وصلوا بتلك القوانين الى ما يقرب من اكتشاف الجاذبية
لا يمكنني في مقالتي هذا أن أعدد ما اكتشف العرب ولا ما زادوه
في العلوم على اختلاف انواعها فذلك يحتاج الى سفر كبير . وقد
أحصى ذلك أهل المعرفة والانصاف من فلاسفة الاوربيين ومؤرخيهم
وربما يتيسر لابناء الامة العربية ان ينشروا ذلك لآخوانهم حتى
يعرفوا ما كان عليه اسلافهم . (١) ولكنني أذكر كلمة قالها بعض حكماء
الغربيين (٢) :

« تأخذنا الدهشة أحيانا عند ما ننظر في كتب العرب فنجد
آراء كنا نعتقد أنها لم تولد الا في زماننا كآراء الجديد في ترقى
الكائنات العضوية وتدرجها في كل أنواعها فان هذا لرأي كان مما
يعلمه العرب في مدارسهم وكانوا يذهبون به الى أبعد مما ذهبنا فكان
عندهم عاميا يشمل الكائنات غير العضوية والمعادن . والاصل الذي
بنيت عليه الكيمياء عندهم هو ترفي المعادن في أشكالها . قال الخازني
اذا سمع الشعب الجاهل ما يقال بين العلماء : ان الذهب قد تقلب في
الاشكال المختلفة حتى صار ذهباً من هذا أنه مر في صور معادن

«١» المنار : قد نشرنا جملة صحاح من ذلك في مقالات (مدينة
العرب) المجلد الثالث «٢» هو الفيلسوف درابر الامريكاني

أخرى فكان رصاصا ثم قصديرا ثم صفرا ثم فضة ثم صار بعد ذلك
 ذهبا ولا يعلم أن الفلاسفة اذا قالوا ذلك فلما يقصدون منه ما أرادوه
 من قولهم في الانسان انه وصل الى حاته الحاضرة بالتدريج
 ومن طريق الترقى وهم لم يعنوا بقولهم هذا أنه قلب في صور
 الانواع المختلفة كأن كان ثورا ثم حمارا ثم فرسا ثم قردا ثم صار بعد
 ذلك انسانا اه

ويقول النياسوف كوستابابون : « ان العرب أول من علم
 العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين »
 وهنا أنكر على بعض فلاسفتهم ما نقلوه عن ابن رشد من أنه
 ذهب في حرية الرأي الى نقض أصل الدين وقال : إن الروح لا بقاء
 لها بعد فناء الجسد وإنما الذي يبقى هي أرواح الانواع . فان هذا
 خطأ عرض لهم من سوء فهم كلامه في بيان بقاء الانواع دون
 الاشخاص فانه قال كما قال ارسطو وغيره : ان الاشخاص توجد
 وتنفى وأما الانواع فهي باقية لا تزول : وهذا باب آخر لا يغير بالمرّة
 ما استنتجوا منه (وقد سبق الكلام في بيان رأيه من وجه آخر
 (١) كما أخطأوا في قولهم عنه انه كان يعتقد بأن الله روح العالم
 يظهر في صورته والكل يرجع اليه بمعنى انه يبقى في ذاته ولا يبقى
 في العالم باق آخر . وهو يقرب من قولهم السابق . فان ابن رشد
 كان مسلما وكان يعرف ان الاسلام لا ينافي العلم وإنما ينافي هذا

الضرب من الوهم، الذي لم يسقط فيه احد الا من عثرة في طريق العلم أو الاسترسال مع الخيال. وكثير ممن سكروا بهذا الرأي أفقوا منه. ولكن كتب ابن رشد التي بين أيدينا تبعد بنا عن نسبة هذا الرأي اليه كما سبق بيانه (١) والكني لا أنكر نسبه لونسب الى ابن سبئين وهو ممن أخذ عن تلامذة ابن رشد فان في كلامه ما يدل على ذلك

ويقول فليسوف آخر: « ان العلوم التي تلقاها العرب عن اليونانيين وغيرهم وكانت ممتدة بين دقات الدفاتر مقبورة بين جدران المكتاب أو مخزونة في بضع الرؤس كأنها أحجار ثمينة في بعض الخزائن لاحظ للانسانية منها سوى النظر اليها - صارت عند العرب حياة الآداب، وغذاء الارواح، وروح الثروة، وقوام الصنعة ومهمازاً للثوى البشرية يسوقها الى كملها الذي أعدت له. وليس في الاوربيين من درس التاريخ وحكم العقل ثم ينكر ان الفضل - في اخراج أوربا من ظلمة الجهل الى ضياء العلم وفي تعليمها كيف تنظر وكيف تفكر وفي معرفتها أن التجربة والمشاهدة هما الاصلان اللذان يبنى عليهما العلم - انما هو للمسلمين وآدابهم ومعارفهم التي حملوها اليهم وأدخلوها من أسبانيا وجنوب ايطاليا وفرنسا عليهم. وكان من حظ العلم العربي والادب المحمدي عند

(١) و (٢) قد سبق ذلك في المقالة الاولى التي ردها الكاتب على الجامعة

مادخلا الى ايطاليا أن البابا كان غائبا لأن كرسيه كان انتقل الى
فرنسا في افنيون نحو سبعين سنة فذهب العلم الى شمال ايطاليا واستقر
به القرار هناك ، ان شوارع باريس لم تفرش بالحجارة الا في القرن
الثاني عشر وقد رصت بالبلاط على نحو ما رصت به مدن اسبانيا» اه
ويقول آخر : « لا أدري كيف أعطانا الاسلام في مدة قرنين
عددا من الفلاسفة يطول سرد أفرادهم وان الكنيسة تسلطت على
العالم المسيحي اثني عشر قرنا في أوروبا ولم تمنحنا فلکيا واحدا»
هذا النماء والزهارة العلمي لم يكن خاصا بطائفة دون طائفة
بل كان الناس في التمكن من تناوله سواء ، وانما كان النفاضل
بالجد والعمل ، والفضل في ذلك كانه لحلم الخلفاء واعمالهم وسماحة
الدين ويسره وسهولته علي أهله وأهل ذمته ، قال بعض فلاسفة
الغربيين قولا يعرفه الحق وتثبته المشاهدة : « ان شعوب الارض
لم تر قط فاتحا بلغ من الحلم هذا المبلغ (يريد فاتحي الاسلام على
اختلافهم) ولا ديننا بلغ في لينه واطفه هذا الحد »

﴿ أخذ الخلفاء والامراء ﴾

(بيد العلم والعلماء)

ان الخلفاء الذين يقال عنهم انهم رؤساء دين وحكام سياسة
معا كانوا هم بأنفسهم المتعاملين للعلوم الداعين الى تعلمها . كانوا العالمين
العاملين . كان خليفة كالمؤمن يضطهد أحيانا أعداء الفلسفة وقد عرف
التاريخ كثيرين من أرباب الشهرة الذين قضوا في سجنه الشهور
أو السنين لانهم كانوا يعادون الفلسفة ظنا منهم أن منها ما يعود
على الدين فيفسده هل رأيت في غير الاسلام رئيسا دينيا يضطهد
أعداء العلم وجفافة الفلسفة ؟ لعلك لا تجده أبدا

كان أهل العلم والادب عامة يجدون من الاحترام عند
الخلفاء والامراء والخاصة ما يليق بهم كيفما كانت حالهم وسأضرب
المثل بالشيخ أبي العلاء المعري لشهرته بين الناس بما يشبه الزندقة
يدكر علي بن يوسف القفطي أن صالح بن مرادس صاحب حاب
خرج الى المعرة وقد عصى أهلها عليه فإزها وشرع في حصارها
ورماها بالمنجنيق فلما أحس أهلها بالغلب سعوا الى أبي العلاء بن
سليمان وسألوه أن يخرج ويشفع فيهم فخرج ومعه قائد يقوده
فاكرمه صالح واحترمه ثم قال : ألك حاجة ؟ قال : الامير أطال
الله بقاءه كالسيف القاطع لان مسه وخشن حده وكانهيار البالغ
قاظ وسطه وطاب برده « خذ العفو وامر بالمعروف وأعرض عن

الجاهلين « فقال له صالح قد وهبتها لك ثم قال انشدنا شيئاً من شعرك انرويهِ فأشده على البديهة أبياتاً فيه فترحل صالح. فانظر كيف وهب الامير بلداً عصى أهله لفيلسوف معروف بما هو عنه معروف ولو ذكرت مانال العلماء والفلاسفة عند الامراء والخلفاء لطلال بي المقال أكثر مما طال وفيما سبق كفاية لمكتف

﴿ ازالة شبهتين ﴾

(وبيان حقيقة الاضطهاد)

قد يتوهم قوم ان الاضطهاد قد يظهر في مقت العامة وخلقهم ما يخلقون من المقتريات على أهل العلم والفكر الحر وهمس بعضهم في آذان بعض وتغامزهم على أهل الفضل ولزمهم إياهم باللقاب بل واحتقارهم في بعض الاحيان وهذا النوع منه عند المسلمين بلا تكبير. وهو خطأ ظاهر لان هذا النوع مما يكره أهل العلم لا تخلو منه أرض ولا تطهر منه بلاد مهما بلغ أهلها من الحرية ومهما بلغ ذوق العلم من نفوس أهلها فان القائمين على عقيدة الكاثوليك الى اليوم في أرض فرنسا نفسها يمتنون الفلاسفة الذين يظهرون بمعادة الكنيسة ويكتبون ما يوهن قواعدها وقد يفتاق عليهم أحزاب الكاثوليك ما لم يقولوه ويرون أن النظر في كتبهم لا يجوز في شريعة

الدين ونحن لا نرتاب في أن نحو هذا كان عند المسلمين أيام كانت سوق الفلسفة رائجة عندهم ولا كنهه ليس من الاضطهاد في شيء وإنما هي زفرة الانسان مما لا يعرف مع ترك صاحبه وشأنه يمضي في سبيله الى حيث يشاء

يقول آخرون : ان التاريخ يروي لنا أن بعض أرباب الافكار قد أخذوا السيف لعلوه في فكره فلم يترك له من الحرية ما يتمتع به الى منتهى ما يبلغ به وليس يصح أن ينكر ما صنع الخليفة المنصور وغيره بالزنادقة

وأقول : ان كثيراً من الغلو اذا انتشر بين العامة أفسد نظامها واضطرب أمنها كما كان من آراء الحلاج وأمثاله (١) فتضطرب السياسة للدخول في الامر لحفظ أمن العامة فتأخذ صاحب الفكر لا لانه تفكر ولا لانه لم يرد أن يقصر حق الحرية على شخصه بل أراد أن يقيد غيره بما رآه من الحرية لنفسه مع أن غيره في غنى عما يراه هو حتما له وتخشى الفتنة اذا استمر مدعي الحرية في غلوائه فلهاذا يرى حناظ النظام أن أمثال هؤلاء يجب أن ينقئ منهم المجتمع صوتنا

(١) المنار — ذكر أمم الجرمين في كتابه (الشامل) في اصول الدين انه كان بين الحلاج والجنابي رئيس الفرامطة اتفاق سري على قلب الدولة وان ذلك هو السبب الحقيقي في قتل الحلاج

لما عما بزعزع أركانه . ونحن نرى الفلسفة اليوم تضطهد الدين هذا
الضرب من الاضطهاد . ألم تقض الحكومة الفرنسية على الراهبين
والراهبات أن تكون جمعياتهم ومدارسهم تحت سيطرة الحكومة؟
وان لا ينشأ شيء منها الا بأذن من الحكومة؟ ومن لم يخضع لذلك
تمحل جمعياته وتقفل مدارسها بقوة السلاح ، وقد بنفى من البلاد
كما بنفى كثيرون في سنين سابقة؟ ولكن هل يسمى هذا اضطهادا؟
كلا ، إنما الاضطهاد حق الاضطهاد هو اضطهاد محكمة التفتيش واضطهاد
رؤساء الاصلاح بعدها في أول نشأتهم

ماذا يقول القائلون؟ ان التعليم عند المسلمين كان غريبا أمره،
يكاد يكون خفيا سره ، مسجد أو مدرسة تابعة لمسجد يجلس فيها
للتدريس الفقيه والمتكلم والمحدث والنحوي والمتأدب والفيلسوف
والفلكي والمهندس ! ينتقل الطالب من بين يدي الفقيه ليجلس
بين يدي الفيلسوف ، ومن مجلس الحديث الى مجلس الادب ، واذا
وقعت مذاكرة بينهم في مسألة من المسائل أخذت الحرية مأخذها
في الاقناع والالزام ، وسقطت قيمة الغلو في التعبير وأخذ التسامح بينهم
مأخذها . كان عمرو بن عبيد رئيس المعتزلة وأشدهم صلابة في أصول
مذهبه ومع ذلك هو من مشايخ الامام البخاري صاحب الصحيح ،
وكانت له منزلة عند المنصور تعلمو كل ذي منزلة عنده حتى قال له
يوما وهو خارج من بين يديه « رميت لكل الناس حبا فلقطوا

الاياك يا عمرو بن عبيد « فانظر كيف كان لامام من أئمة السنة
أن يصل سنده في الحديث برئيس من رؤساء المعتزلة ولا يرى في
ذلك بأساً؟

إذا عد عاد بعض رجال العلم الذين أخذتهم القسوة في الاسلام
وقتلهم حماقة الملوك باغراء الفقهاء وأهل الغلو في الدين فاعليه الا أن
ينظر في أحوالهم فيقف لاول وهلة على أن الذي اثار اولئك عليهم
ليس مجرد العصبية للدين وان ليست الغيرة عليه هي الباعث لهم
على الوشاية بهم وطلب تنكيلهم . وإنما تجد الحسد هو العامل الاول
في ذلك كله والدين آلة له . ولهذا لا ترى مثل ذلك الاذى يقع الا
على قاضي قضاة كبن رشد (ورجوع الحاكم الى العفو عنه وإنزاله
منزله دليل على ذلك) أو وزير أو جليس خليفة أو سلطان أو ذي
نفوذ عظيم بين العامة . وهذا كما يقع من الفقهاء مثلاً لا يذاء الفلاسفة
يقع من الفقهاء بعضهم مع بعض لاهلاك بعضهم بعضاً كما يشهد به
العيان، ويحكى لنا التاريخ . فليس هذا كذلك معدوداً من معنى
اضطهاد الدين للفلسفة لان التحاسد أكثر ما يقع بين من لا دين
لهم على الحقيقة وان لبسوا لباسه . وإنما ذلك الاضطهاد هو الذي
يحمل عليه محض الاختلاف في العقيدة أو ظن المخالفة للدين في
شيء من العلم أو العمل لضيق الدين عن ان يسع المخالف بجانبه ،
وهذا لم يقع في الاسلام . اللهم الا أن يكون حادث لم يصل اليه

هذه طبيعة الدين الاسلامي عرضت عليك في أهم عناصرها
ومقومات مزاجها . وهذا كان أثرها في العالم الشرقي والغربي .
وهذه سعة فضل الدين وقوته على احتمال مخالفيه وتيسيره لاولئك
المخالفين أن يحتسبوا به متى رضوا بأن يستظلوا بظله . هل في هذا
خفاء على ناظر ، وهل يرضى لميب لنفسه أن ينكر الضوء الباهر ،
أفلا يبسم الاسلام عجباً وهو في أشد الكرب لمقوق أبنائه ، من
أديب لم يكن يعده من أعدائه ان لم يحسبه في أحبائه ، عند ما يراه
يسدد سهمه اليه ، ويجور كما يجور الجائرون في حكمه عليه ، ؟ ؟

﴿ الاسلام اليوم ﴾

﴿ أو الاحتجاج بالمسلمين على الاسلام ﴾

(المقال الرابع لذلك الامام الحكيم)

ربما يسأل سائل فيقول : سلمنا أن طبيعة الاسلام تأتي
اضطهاد العلم بمعناه الحقيقي وانه لم يقع من المسلمين الاولين
تعذيب ولا احراق ولا شنق لحملة العلوم الكونية ، ومقومي
العقول البشرية ، لكن أليس العلماء من المسلمين اليوم أعداء

العلوم العقلية ، والفنون العصرية ، أو ليس الناس تبعاً لهم ؟ أولاً
 يكون للاديب عذره فيما يراه ويسمعه حوله ؟ ألم يسمع بأن رجلاً
 في بلاد اسلامية غير البلاد المصرية (١) كتب مقالا في الاجتهاد
 والتقليد وذهب فيه الى ما ذهب اليه أئمة المسلمين كافة ، ومقالاته بين فيه
 رأيه في مذهب الصوفية ، وقال انه ليس مما انتفع به الاسلام بل قد
 يكون مما رزى به أو ما يقرب من هذا - وهو قول قال به جمهور
 أهل السنة من قبله - فلما طبع مقاله في مصر تحت اسمه هاج عليه
 حملة العاصم ، وسكينة الاثواب العباب ، وقالوا : انه مرق من الدين ،
 أو جاء بالافك المبين ، ثم رفع أمره الى الوالي فقبض عليه وألقاه
 في السجن ؟ فرفع شكواه الى عاصمة الملك وسأل السلطان أن يأمر
 بنقله الى العاصمة ليثبت براءته مما اختلق عليه ، بين يدي عادل
 لا يجور ، ومهيمن على الحق لا يحيف ، الخ ما يقال في الشكوى .
 فأجيب طلبه لکن لم ينفعه ذلك كانه فقد صدر الامر هناك أيضاً
 بسجنه ولم يعف عنه الا بعد أشهر ، مع انه لم يقل الا ما يتفق مع أصول

(١) هذا الرجل هو السيد عبد الحميد الزهراوي الحمصي الشهير
 رحمه الله ومقاله في الفقه والتصوف نشر في المنار وطبعها على حدتها
 وقد وشى به بعض حساده في دمشق الى والي الشام فاعتقله الوالي
 وكان السبب الحقيقي لاعتقاله مقالة له في الخلافة نشرت في المقطم
 (راجع ترجمته في المنار ص ١٩٦ م ١٩)

الدين، ولا ينكره القارىء والكاتب، ولا الآكل والشارب
 ألم يسمع السامعون أن الشيخ السنوسي (والد السنوسي
 صاحب الجغبوب) كتب كتابا في أصول الفقه زاد فيه بعض
 مسائل على أصول المالكية وجاء في كتاب له ما يدل على دعواه
 أنه ممن يفهم الاحكام من الكتاب والسنة مباشرة وقد يرى
 ما يخالف رأيه مجتهد أو مجتهدين . فعلم بذلك أحد المشايخ
 المالكية (رحمه الله تعالى) وكان المقدم في علماء الجامع الأزهر
 الشريف (١) فحمل حربة وطاب الشيخ السنوسي ليطعنه بها لانه
 خرق حرمة الدين ، واتبع سبيلا غير سبيل المؤمنين ، وربما كان
 يجترى الاستاذ على طعن الشيخ السنوسي بالحربة لو لاقاه وإنما
 الذي خاص السنوسي من الطعنة ، ونجى الشيخ المرحوم من
 سوء المغبة ، وارتكاب الجريمة باسم الشريعة، هو مفارقة السنوسي
 للقاهرة قبل أن يلاقيه الاستاذ المالكي .

هل غاب عن الاذهان ما كان ينشر في الجرائد من نحو ثلاث
 سنين بأقلام بعض علماء الجامع الأزهر من المقالات الطويلة الاذيل
 الواسعة الاردان في استهجان ادخال علم تقويم البلدان (الجغرافية)
 بين العلوم التي يتلقاها طلبة الجامع الأزهر ؟ وكان كتاب تلك

(١) هو الشيخ عليش الذي كان ينكر على السيد جمال الدين
 والشيخ محمد عبده أيضا

المقالات يعرضون بمن أشار بادخال هذا العلم وغيره بين تلك العلوم وانه إنما يريد الغض من علوم الدين (١) أم لم تنتشر في العام الماضي فصول بأقلام بعضهم تشير الى الطعن في عقيدة البعض الآخر وإرادة التشهير به مع انه لم يجهر بمنكر ولم يقل قولاً يبعد من الكتاب والسنة ؟

ألم تحمل الينا الرواة ما عند علماء الافغان والهند والعجم من شدة التمسك بالقديم ، والحرص على ماورثوا عن آبائهم الاقربين وإقامة الحرب على كل من حاول أن يزحزحهم أصبعا عما كان عليه سلفهم ، وان كان في البقاء عليه تلفهم ، وما عليه الحال اليوم في حكومة المغرب من الغلو في التعصب ، والمعاقبة بقطع بعض الاعضاء في شرب الدخان ، أو بالقتل في كلمة ينكرها السامعون ، وان أجمع عليها المسلمون الآخرون ،

ثم ألا يتخيل المتأمل انه يسمع من جوف المستقبل صخباً ولجماً ، وضوضاء وجلبة ، وهيئات مضطربة ، اذا قيل انه ينبغي لطلبة الازهر أن يدرسوا طرفاً من مبادئ الطبيعة أو يحصلوا جملة من التاريخ الطبيعي ؟ ألا تقوم قيامة المتقين ، ألا يصيحون أجمعين أكتعين أبتعين ، : هذا عدوان على الدين ، هذا توهين لعقده المتين ،

(١) يعني الاستاذ بهذا نفسه فهو الذي اشار بتعليم هذه العلوم

هذا تغرير بأهله المساكين ، ولا يزالون يشيدون بهذا الى أن لا يبقى شيء عرف له اسم في اللغة الا الصقوه بهذه البدعة في زعمهم؟ هل هذه الحال جديدة على المسلمين حتى يقال إنها عارض عرض عليهم ، او مرض من الامراض الوافدة اليهم ذ لا يسهل على من يمرض أحوال المسلمين تحت نظره من قرون متعددة أن يظن ان هذه الحال من العال الطارئة على امزجة الامم خصوصا عند ما يجد الوحدة في الصفات ، والشمول في جميع الاعتبارات ، فلو أخذ مسلما من شاطئ الاطلانطقي وآخر من تحت جدار الصين لوجد كلمة واحد تخرج من افواههما وهي : (إنا وجدنا آباءنا على أمة وأنا على آثارهم مهتدون) وكلمة اعداء لكل مخالف لما هم عليه وإن نطق به الكتاب واجتمعت عليه الآثار

اللهم الافئة زعمت أنها نفضت غبار التقليد وأزالت الحجب التي كانت تحل بينها وبين النظر في آيات القرآن ومتون الاحاديث لتفهم أحكام الله منها ولكن هذه الفئة اضيق عطنا وأخرج صدرا من المقلدين وان أنكرت كثيرا من البدع ونحت عن الدين كثيرا مما أضيف اليه وليس منه فأنها ترى وجوب الاخذ بما يفهم من لفظ الوارد والتقييد به بدون التفات الى ما تقتضيه الاصول التي قام عليها الدين ، واليهما كانت الدعوة ، ولاجلها منحت النبوة ، فلم يكونوا للعلم

أولياء ، ولا للمدينة السليمة أحياء (١)
 هل يمكن أن ينكر أحد جهود الفقهاء ووقوفهم عند عبارات
 المصنفين على تباينها واختلافها واضطراب الآراء في فهمها؟ وإذا عرضت
 حادثة من الحوادث ولم يكن لمصنف معروف رأي فيها احجموا عن
 ابداء الرأي واجتهدوا في تحويرها عن حقيقتها الى أن تتفق مع قول
 معروف في كتاب من الكتب؟ حتى لقد جاء طالب علم من بلد من
 بلاد الدولة العثمانية وأراد الالتحاق باحد الاروقة في الجامع الازهر
 فوقع الشك هل بلده مما لاهله استحقاق في ذلك الرواق على حسب
 نص الواقف . فقال قائل لشيخ الرواق : ان كتب تقويم البلدان
 تشهد بأن البلد داخل في شرط الواقف . فقال : إنني لا أقنع بما في
 تلك الكتب وإنما الذي يصح أن آخذ به هو أن يكون فقيه (ممن
 مات) قال ان هذا البلد من قطر كذا وهو الذي وقف الواقف
 على أهله . واذا قيل لاحدهم : ان الأئمة أنفسهم لم يعينوا مواقع
 البلدان ولم يضعوا لنا جدولا لبيان ما يحويه كل قطر وبيان الحدود

(١) يعني بهذه الفئة أهل الحديث ومن يسمون الوهابية فقد كان
 يحمدهم ترك البدع . والاهتداء بالسنن . وتقديم الأثر . على آراء
 البشر . وينكر عليهم ضيق الدطن . دون ما ارشدت اليه النصوص
 من علوم الاكوان . ومقدمات المدينة والعمارات . التي تعزيرها
 الأمة . وتعلو كلمة الملة

التي ينتهي اليها وإن أصول ديننا تسمح لنا بأن نأخذ بأقوال العلماء في هذه الفنون (وهم منا) وبتواتر الاخبار وما أشبه ذلك من البديهيات قال: انما أريد نصا فقهيا ، لا دليلا عقليا ،

وإذا قيل لهم: اختلفت الشؤون ، وفسدت المدكات والظنون ، وساءت أعمال الناس ، وضلت عقائدهم ، وخوت عباداتهم من روح الاخلاص ، فوثب بعضهم على بعض الشر ، وغالت أكثرهم أغوال الفقر ، فتضعفت القوة ، واخترق السياج ، وضاعت البيضة وانقلبت العزة ذلة ، والهداية ضلة ، وساكنتم الحاجة ، وأفتكم الضرورة ولا تزالون تألمون مما نزل بكم وبالناس ، فهل انبهكم ذلك الى البحث في أسباب ما كان سلفكم عليه ، ثم عال ما صرتم وصار الناس اليه ؟ قالوا : ذلك ليس الينا ، ولا فرضه الله علينا ، وانما هو للحكام ينظرون فيه ، ويبحثون عن وسائل تلافيه ، فان لم يفعلوا - ولن يفعلوا - فذلك لانه آخر الزمان وقد ورد في الاخبار ما يدل على انه كائن لا محالة وان الاسلام لا بد أن يرفع من الارض ولا تقوم القيامة الا على الكع بن الكع . واحتجوا على اليأس والقنوط بآيات وأحاديث وآثار تقطع الامل ، ولا تدع في نفس حركة الى عمل؟؟

﴿ رأي رينان في الاسلام ﴾

هذا الجمود — الذي لو أردنا بيان ما أمتد اليه من طيات الافكار، وثنيات الوجدان، لكتبنا فيه كتابا — هو الذي حمل الموسيورنان الفيلسوف الفرنسي المشهور ان يقول في عرض كلام له في تساهل المذاهب الدينية مع العلم نقلته عنه الجامعة: « على أنني أخشى أن يثبت الدين الاسلامي وحده في وجه هذا التسامح العام في العقائد، ولكنني أعرف أن في نفوس بعض الرجال المتمسكين بأداب الدين الاسلامي القديمة وفي بضعة من رجال الاشتناق وبلاد الفرس جرائم جيدة تدل على فكر واسع، وعقل ميال الى المسالمة، الا أنني أخشى ان تختنق هذه الجرائم بتعصب بعض الفقهاء، فاذا اختنقت قضي على الدين الاسلامي. ذلك انه من الثابت الآن امران — الاول أن التمدن الحديث لا يريد إماتة الاديان بالمرّة لانها تصلح أن تكون وسيلة اليه. والثاني أنه لا يطبق أن تكون الاديان عثرة في سبيله. فعلى هذه الاديان أن تسالم وتلين، والا كان موتها ضربة لازب » اه كلام رنان بتصرف لفظي قليل

فمن أين يكون هذا الجمود العام الذي سمح للطاعنين أن يحكموا على الاسلام بأنه عثرة في طريق المسلمين يسقط بهم دون أن ينالوا

الجواب عن جمود المسلمين وأن سببه السياسة ١٠٧

فلاحا في سعيهم ، أو نجاحا في أعمالهم ؟ من أين يكون هذا الجمود إن لم يكن من طبيعة الدين ؟ ومن أين يكون ما سردناه من الحوادث إن لم يكن ناشئا من أصول الدين ؟ فإن لم تسلّم بأن هذا اضطهاد، وإن الاضطهاد من لوازم الدين الاسلامي فعليك ان تسلّم بأنه عداوة للعالم أو اشمئزاز منه . أو استهجان له أو احتقار لشأنه . وأحد هذه الامور كاف اذا عم بين المسلمين في أن ينفر بهم عن كل مجد . وان يحرمهم كل نفع . وأن يحقق فيهم ماتنبا به رنان وغيره فما قولك في هذا ؟

﴿ الجواب ﴾

أقول هذا كلام فيه شية من الحق ولمعة من الصدق، أما ما نسمعه حولنا من سجن من قال بقول السلف فليس الحامل عليه التمسك بالدين فإن حملة العمائم إنما حركهم الحسد لا الغيرة. وأما صدور الامر بالسجن فهو من مقتضيات السياسة والخوف من خروج فكر واحد من حبس التقليد فتننتشر عداوه فيتنبه غافل آخر ويتبعه ثالث ثم ربما تسري العدوى من الدين الى غير الدين — الى آخر ما يكون من حرية الفكر (يعودون بالله منها). فان شئت ان تقول ان السياسة تضطهد الفكر أو الدين أو العلم فاننا معك من الشاهدين. أعوذ بالله من السياسة، ومن لفظ السياسة، ومن معنى السياسة ومن كل حرف

يلفظ من كلمة السياسة ومن كل خيال يخطر ببالي من السياسة ومن كل أرض تذكر فيها السياسة، ومن كل شخص يتكلم أو يتعلم أو يجن أو يعقل في السياسة ومن ساس ويسوس وسائس ومسوس يدل ذلك على ان العقوبة سياسية أن الرجل كان يقول بقول السلف من أهل الدين. لا تقل ان هذه السياسة من الدين فاني أشهد الله ورسوله وملائكته وسلفنا أجمعين، ان هذه السياسة من أبعاد الامور عن الدين كأنها الشجرة التي تخرج في أصل الجحيم (طاعها كأنه رؤوس الشياطين * فأنهم لا يكون منها فمائلون منها البطون * ثم ان لهم عليها اشوبا من جحيم * ثم ان مرجعهم لالى الجحيم * انهم ألفوا آباءهم ضالين * فهم على آثارهم يهرعون)

﴿ جمود المسلمين وأسبابه ﴾

وأما ما وصفت بعد ذلك من الجمود فهو مما لا يصح ان ينسب الى الاسلام وقد رأيت صورة الاسلام في صفاتها ونصوع بياضها ليس فيها ما يصح ان يكون أصلاً يرجع اليه شيء مما ذكرت ولا مما تنبأ بسوء عاقبته (رنان) وغيره. وانما هي علة عرضت على المسلمين عند ما دخل على قلوبهم عقائد اخرى ساكنت عقيدة الاسلام في أفئدتهم وكان السبب في تمكنها من نفوسهم وإطفائها لنور الاسلام من عقولهم هو السياسة كذلك هو تلك الشجرة الملعونة في القرآن

عبادة الهوى وإتباع خطوات الشياطين هو السياسة
 لم أر كالا سلام ديننا حفظ أصله ، وخالط فيه أهله ، ولا مثله
 سلطانا تفرق عنه جيده ، وخفر عهده ، وكفر وعيده ووعدده ، وخفي
 على الغافلين قصده ، وإن وضح للناظرين رشده ، أكل الزمان أهله
 الاولين ، وأدال منهم خسارة من الآخرين ، لاهم فهموه فأقاموه
 ولا هم رحموه فتركوه ، سواسية من الناس اتصلوا به ، ووصلوا نسبهم
 بسببه وقالوا نحن أهله وعشيرته ، وحماته وعصبته وهم ليسوا منه في
 شيء إلا كما يكون الجهل من العلم . والطيش من الحلم . وأفن الرأي
 من صحة الحكم

أنظر كيف صارت مزية من مزايا الاسلام سببا فيما صار اليه
 أهله : كان الاسلام ديناً عربياً ثم لحقه العلم فصار علما عربيا بعد
 ان كان يونانيا ثم أخطأ خليفة في السياسة فاتخذ من سعة الاسلام
 سبيلا الى ما كان يظنه خيرا له . ظن أن الجيش العربي قد يكون
 عوناً لخليفة علوي لان العلويين كانوا ألصق ببيت النبي صلى الله
 عليه وآله وسلم . فأراد أن ينخذ له جيشاً أجنبيا من الترك والديلم
 وغيرهم من لامم التي ظن أنه يستعبد بها بسطانه . ويصطنعها
 باحسانه . فلا تساعد الخارج عليه ولا تعين طالب مكانه من
 الملك . وفي سعة أحكام الاسلام وسهولته ما يبيح له ذلك . هنالك
 استعجم الاسلام وانقلب عجميا
 foreign

خليفة عباسي أراد أن يصنع لنفسه ولخلفه، وبئس ما صنع بأمته
 ودينه — أ كثر من ذلك الجند الاجنبي وأقام عليه الرؤساء منه فلم
 تكن الا عشية أو ضحاها حتى تغاب رؤساء الجند على الخلفاء
 واستبدوا بالسلطان دونهم وصارت الدولة في قبضتهم . ولم يكن
 لهم ذلك العقل الذي راضه الاسلام والقاب الذي هذبه الدين
 بل جاؤا الى الاسلام بخشونة الجهل يحملون ألوية الظلم . لبسوا
 الاسلام على أبدانهم ولم ينفذ منه شيء الى وحدانهم وكثير منهم
 كان يحمل إلهه معه يعبده في خلوته ويصلي مع الجماعات لتكبير
 سلطته ثم عدوا على الاسلام آخرون كالتتار وغيرهم ومنهم من تولى أمره
 أي عدوه لهؤلاء أشد من العلم الذي يعرف الناس منزلتهم
 ويكشف لهم قبح سيرهم ؟ فقالوا على العلم وصديقه الاسلام ميالتهم
 أما العلم فلم يحفلوا بأهله وقبضوا عنه يد المعونة وحملوا كثيرا من
 أعوانهم أن يندرجوا في سلك العلماء وأن يتسربلوا بسرابيله ليعدوا
 من قبيله ثم يضعوا للعامة في الدين ما يبغض اليهم العلم ويبعد بنفوسهم
 عن طلبه . ودخلوا عليهم وهم أغرار من باب التقوى وحماية الدين
 زعموا الدين ناقصا ليكلوه أو مريضا ليعلاوه أو متداعيا ليدعموه أو
 يكاد أن ينقض ليقيموه

نظروا الى ما كانوا عليه من فخفخة الوثنية وفي عادات من
 كان حولهم من الامم النصرانية فاستعاروا من ذلك للاسلام

ما هو براء منه لكنهم نجحوا في اقناع العامة بأن في ذلك تعظيم شعائره وتفخيم أوامره والغوغاء عون الناشم وهم يد الظالم فخلقوا لنا هذه الاحتفالات وتلك الاجتماعات وسنوا لها من عبادة الاولياء والعلماء والمتشبهين بهم ما فرق الجماعة وأركس الناس في الضلالة وقرروا أن المتأخر ليس له أن يقول بغير ما يقول المتقدم وجعلوا ذلك عقيدة حتى يقف الفكر وتجمد العقول . ثم بشوا أعوانهم في أطراف الممالك الاسلامية ينشرون من القصص والاخبار والآراء ما يقنع العامة بأنه لا نظر لهم في الشؤون العامة . وأن كل ما هو من أمور الجماعة والدولة فهو مما فرض فيه النظر على الحكام دون من عداهم ومن دخل في شيء من ذلك من غيرهم فهو متعرض لما لا يعنيه . وأن ما يظهر من فساد الاعمال واختلال الاحوال ليس من صنع الحكام وإنما هو تحقيق لما ورد في الاخبار من أحوال آخر الزمان وأنه لا حيلة في اصلاح حال ولا مال . وأن الاسلام تفويض ذلك الى الله وما على المسلم الا أن يقتصر على خاصة نفسه . ووجدوا في ظواهر الالفاظ لبعض الاحاديث ما يعينهم على ذلك وفي الموضوعات والضعاف ما شد أزرهم في بث هذه الاوهام . وقد انتشر بين المسلمين جيش من هؤلاء المضلين وتعاون ولاية الشر على مساعدتهم في جميع الاطراف واتخذوا من عقيدة القدر مثبتا للعزائم وغلا للأيدي عن العمل . والعامل الاقوى في حمل النفوس على قبول هذه الخرافات

beled

انما هو السذاجة وضعف البصيرة في الدين وموافقة الهوى . أمور
 اذا اجتمعت أهلكت . فاستمر الحق تحت ظلام الباطل ورسخ في
 نفوس الناس من العقائد ما يضارب أصول دينهم ويباينها على خط
 مستقيم كما يقال

هذه السياسة - سياسة اظلمة وأهل الاثرة - هي التي روجت ما
 ادخل على الدين مما لا يعرفه وسلبت من المسلم أملا كان يخترق به
 أطباق السموات وأخلدت به الى بأس يجاور به العجماءات فجل
 ما تراه الآن مما تسميه اسلاما فهو ليس باسلام وانما حفظ من
 أعمال الاسلام صورة الصلاة والصوم والحج ومن الاقوال قليلا
 منها حرفت عن معانيها ووصل الناس بما عرض على دينهم من البدع
 والخرافات الى الجمود الذي ذكرته وعدوه ديننا . نعوذ بالله منهم
 ومما يفترون على الله ودينه فكل ما يعاب الآن على المسلمين ليس
 من الاسلام وانما هو شيء آخر سموه اسلاما والقرآن شاهد صادق
 (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
 حميد) يشهد بأنهم كاذبون وانهم عنه لاهون وعماء جاء به
 معرضون وسنوفي لك الكلام في مفسد هذا الجمود وثبت انه
 علة لا بد أن تزول

﴿ مفاسد هذا الجمود ونتائجه ﴾

طال أمد هذا الجمود لاستمرار عمل العاملين في المحافظة عليه
وولع شهواتهم بالدفاع عنه وقد حدثت عنه مفاسد يطول بيانها وإنما
يحسن اجمال القول فيها

كان الدين هو الذي ينطلق بالمثل في سعة العلم ويسبيح به في
الارض و يصعد به الى اطباق السماء ليقف به على أثر من آثار الله
أو يكشف به سرا من أسراره في خبايته أو يستنبط حكما من أحكام
شريعته فكانت جميع الفنون مسارح للعقول تقطف من ثمارها
ما تشاء وتبلغ من التمتع بها ما تريد فلما وقف الدين وقعد طلاب
اليقين وقف العلم وسكنت ريمه ولم يكن ذلك دفعة واحدة ولا كنه
سار سير التدرج

جناية الجمود على اللغة

أول جناية لهذا الجمود كانت على اللغة العربية وأساليبها وآدابها
فإن القوم كانوا يعنون بها الحاجة دينهم اليها — أريد حاجتهم في فهم
كتابهم الى معرفة دقائق أساليبها وما تشير اليه هيئة تراكيبها وكانوا
يجدون أنهم لن يبلغوا ذلك حتى يكونوا عربا بملكاتهم يساوون
من كانوا عربا بسلاقتهم فلما لم يبق للمتأخر الا الاخذ بما قال المتقدم
٨ - الاسلام والنصرانية

قصر المحصلون تحصيلهم على فهم كلام من قبلهم واكتفوا باخذ
حكم الله منه بدون أن يرجعوا الى دليله ولو نظروا في الدليل فأروه
غير دال له بل دالا لخصمه بأن كان عرض له في فهمه ما يعرض
للشرك الذين لم يقرر الدين عصمتهم لخطأوا نظرهم وأعموا أبصارهم
وقالوا: نعوذ بالله أن تذهب عقولنا الى غير ما ذهب اليه متقدمنا
وأرغموا عقولهم على لوقفة فيصديه الشال من تلك النحية. فأني حاجة
له بعد ذلك الى اللغة العربية نفسها وقد يكفيه منها ما يفهم به أسلوب
كلام المتقدم وهو ليس من اولئك العرب الذين كان ينظر
الاولون في كلامهم.

وكذا كل متأخر يقصر فهمه على النظر في كلام من يليه هو
غير مبال بسلفه الاول بل ولا بما كان يحف بالقول من أحوال
الزمان فهو لا ينظر الا اللفظ وما يعطيه فتسقط منزلته في تحصيل
اللغة بمقدار بعده عن أهلها حتى وصل حال الناس الى ما نراهم عليه
اليوم: جعلوا دروس اللغة لفهم عبارة بعض المؤلفين في النحو
وقنون البلاغة وان لم يصلوا منها الى غاية في فهم ما وراءها فدرست
علوم الاولين وبادت صناعاتهم، بل فقدت كتب السلف الاولين
رضي الله عنهم، وأصبح الباحث عن كتاب المدونة لمالك رحمه الله
تعالى أو كتاب الام للشافعي رحمه الله تعالى أو بعض كتب الامهات
في فقه الحنفية كطالب المصحف في بيت الزنديق. تجرد جزءا من

الكتاب في قطرو جزءه الآخر في قطر آخر فاذا اجتمعت لك أجزاء الكتاب وجدت ما عرض عليها من مسخ النسخ حائلا بينك وبين الاستفادة منها هذا كله من أثر الجهود وسوء الظن بالله وتوهم أن أبواب فضل الله قد أغلقت في رجوه المتأخرين ، ليرفع بذلك منازل المتقدمين وعدم الاعتبار بما ورد في الاخبار من أن المبلغ ر بما كان أوعى من السابع (١) وان هذه الامة كالمطر لا يدري أوله خير أو آخره (٢) رقلة الالتفات الى أن ذلك قد أضع آثار المتقدمين أنفسهم ولا حول ولا قوة الا بالله. لا ريب أن القارئ يحيط بمقدار ضرر هذه الجناية على اللغة . يكفيه من ذلك أنه اذا تكلم بلغته لغة دينه وكتابه وقومه لا يجد من يفهم ما يقول ، وأي ضرر أعظم من عجز القائل عن ان يصل بمعناه الى العقول ؟

جناية الجهود على النظام والاجتماع :

وأعظم من هذه الجناية جناية التفريق وتمزيق نظام الامة وإيقاعها فيما وقع فيه من سبقها من الاختلاف وتفرق المذاهب والشيع في الدين . كان اختلاف السلف في الفتيا يرجع الى اختلاف

(١) المنار . يشير الى حديث ابن مسعود عند الترمذي وابن ماجه وهو : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « نضر الله امرأ سمع مني شيئا فبلغه كما سمعه قرب مباح أوعى له من سامع » ورواه غيرهما عن غيره (٢) يشير الى حديث انس عند الترمذي وهو : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل امي مثل المطر لا يدري اوله خير أم آخره » ورواه غيره

أفهام الافراد وكل يرجع الى أصل واحد لا يختلفون فيه وهو كتاب
الله وما صح من السنة فلا مذهب ولا شيعة ولا عصبية تقاوم عصبية
ولو عرف بعضهم صحة ما يقول الآخر لا سرع الى موافقته كما صرح
به جميعهم . ثم جاء أنصار الجهود فقالوا: يولد مولود في بيت رجل من
مذهب امام فلا يجوز له أن ينتقل من مذهب أبيه الى
مذهب امام آخر . واذا سألتهم قالوا : « وكلهم من رسول الله ملتمس »
لكنه قول باللسان ، لا أصل له في الجنان ، ثم كانت حروب
جدال بين أئمة كل مذهب لو صرفت آلاتها وقواها في تبين أصول
الدين ونشر آدابه وعقائده الصحيحة بين العامة لكاننا اليوم في شأن
غير ما نحن فيه . يجد المطالع على كتب المختلفين من مطاعن بعضهم
في بعض ما لا يسمح به أصل من أصول الدين الذي ينتسبون
اليه . يضلل بعضهم بعضاً ويرمي بعضهم بعضاً بالبعد عن الدين
وما المطعون فيه بأبعد عن الدين من الطاعن والكنه الجهود قد
يؤدي الى الجهود

كان الاختلاف في العقائد على نحو الاختلاف في الفتيا تخاف
أشخاص في النظر والرأي وكان كل فريق يأخذ عن الآخر ولا
يبالي بمخالفته له في رأيه مسجدهم واحد وامامهم واحد وخطيبهم
واحد فلما جاء دور الجهود — دور السياسة — أخذ المتخالفون في
التنطمع وأخذت الصلوات تتقطع وامتازت فرق وتألقت شيع كل ذلك

التطلع الى ما وراءه. أو هي السياسة تحل ما تشاء وتحرم ما تشاء ،
وتصحح ما تشاء وتعطل ما تشاء ، والناس منقادون اليها بازمة
القوة أو الالهواء

جناية الجود على الشريعة وأهلها

هذا الجود في أحكام الشريعة جر الى عسر حمل الناس
على اهمالها : كانت الشريعة الاسلامية أيام كان الاسلام اسلاما
سمحه تسع العالم بأسره وهي اليوم تضيق عن أهلها حتى يضطروا
الى أن يتناولوا غيرها وان يلتمسوا حماية حقوقهم فيما لا يرتقي اليها
وأصبح الاتقياء من حملتها يتخاصمون الى سواها . صعب تناول
الشريعة على الناس حتى رضوا بجهلها عجزا عن الوصول الى علمها
فلا ترى العارف بها من الناس الا قليلا لا يعد شيئا اذا نسب الى
من لا يعرفها . وهل يتصور من جاهل بشريعة أن يعمل بأحكامها؟
فوقع أغلب العامة في مخالفة شر يعتبرهم بل سقط احترامها من
أنفسهم لانهم لا يستطيعون أن يطبقوا أعمالهم بمقتضى نصوصها .
وأول مانع لهم ضيق الطاقة عن فهمها لصعوبة العبارات وكثرة
الاختلاف . سألت يوما أحد المدرسين في بعض المذاهب : هل
تبيع وتشترى وتصرف النذور على مقتضى ما تجد في كتب مذهبك
فأجاب إن تلك الاحكام قلما تخطر بباله عند المعاملة بالفعل وإنما

يفعل ما يفعل الناس . هكذا فعل الجمود بأهله ولو أرادوا أن تكون
للشريعة حياة يحيا بها الناس لفعلوا ولسهل عليهم وعلى الناس أن
يكونوا بها أحياء

تعلم ما وصل اليه الناس من فساد الاخلاق والانحراف عن
حدود الشريعة . لو سألت عن سببه في الفري وصغار المدن
لوجدته أحد أمرين : إما فقد العارف بالشريعة والدين وسقوط
القرية أو المدينة في جاهلية جهلاء يرجع بعض أهلها الى بعض في
معرفة الحلال والحرام وليس المسئول بأعلم من السائل وكلهم جاهلون
وإما عجز العارف عن تفهيم من يسأله لاعتقال لسانه عن حسن
التعبير بطريفة تفهمها العامة فهو اذا سئل يقرأ كتابا أو يسرد عبارة
يصعب على السامع فهمها وعلى المتكلم افهامها . وذلك للخرج الذي
وضع فيه نفسه فلا يستطيع التصرف فيما يسمع ولا فيما يعلم . فاذا
قلت للعارف : تعلم من وسائل التعبير ما يقدرك على مخاطبة الطبقات
المتنوعة من الناس حتى تنفع بعلمك واعل بنفسك الى أن تفهم
الغرض من قول إمامك فتجد لاصله انطباقا على هذه الحادثة مثلا
وان لم يأت ذكرها بنفسها في قوله أو قول من جاء بعده من أتباعه
قال : سبحان الله ! هل فعل ذلك أحد من المشايخ ؟ يريد أن
لا يأتي شيئا الا ما أتى به شيخه الذي أخذ عنه يدا يدا ولو أبعده
بنظره لوجد قوما المشايخ قد فعلوه وبالغوا فيه حتى خالفوا من

أخذوا عنه في بعض رأيه (١). ثم اذا حاججته في ذلك لم يبعد من رأيه أن يعدك زنديقا وأنتك تدعوه الى الخرج من دينه ولا يدري المسكين أنه بذلك يخالف نصوص دينه وأنه يتهياً للخروج منه نعوذ بالله تعالى

كان كلام بيني وبين أحد المدرسين في أخذ الطلبة بالنصيحة وتذكيرهم بفضائل الاخلاق وصالح الاعمال خصوصا عند إلقاء الدروس الفقهية ودروس الحديث والتوحيد فقال لي : انه لا فائدة في ذلك قطعا وهو تب في غير طائل . فقلت له : ذلك حق عليك أن تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وليس عليك أن يأمر بالمأمور ولا أن ينهيه المنهي : فقال : اذا تحققت استحالة المنفعة كان الامر والنهي لغوا . فانظر كيف اعتقد استحالة الانتفاع بنصحه لبلوغ الفساد من النفوس غاية كما يزعم ولم ينظر في الوسيلة لاقتلاع هذا الفساد مع أن الدين يدعوه الى ذلك وهو يعمل كل يوم عمله لتعليم من لا سبيل الى اصلاحه . هذا كله لانه لم ير نفسه أهلا لان يتخذ وسيلة لم يتخذها من أخذ عنه أو لم يرشده اليها من تعلم هو بين يديه ولم يتذكر عند ذلك شيئا من الاوامر الالهية التي وردت في

(١) تراجم يقولون في الكلام على آية أو حديث انه حجة على اصحابنا وتجد مثل هذا في مواضع من شرح النووي على صحيح مسلم وهو الذي لقبه الشافعية بالشافعي الثاني

النصيحة والتأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأز اليأس من روح
الله إنما يكون من القوم الكافرين أو الضالين
لا بل اذا قامت له: ان هذا الضرب من ضروب التعليم عقيم
لا ينتج المطلوب منه أو ان هذا الكتاب الذي تعود الطلاب قراءته
قد يضر بقارئه وغيره أفضل منه.. كاد يظن أن قولك هذا مخالف
للدين ورأى المدول عما تعدده نوعا من الاخلال بالدين. وقد يقيم
عليك حربا يعتقد نفسه فيها مجاهدا في سبيل الله اذا قامت له: ان
دروس الساف كانت تقريرا للسائل واملاء للحقائق على الطلاب
ولم يكن لاحد منهم كتاب يأخذه بيده ويقرأه تلاميذه ولم يكن بأيدي
الطلبة الا الاقلام والقراطيس يكتبون ما يسمعونه من أنواه أساتذتهم
وقد يعترف لك بصحة ما تقول ولكنه يستمر في عمله اعتمادا على
أنه وجد الناس هكذا يعملون فهل يخطر ببال عاقل ان هذا الجمود
من الدين؟ وهل يرتاب من له أدنى ادراك في سوء عقباه على
الدين وأهل الدين!

جناية الجمود على العقيدة

ذلك جمودهم في العمل وأشد ضررا منه الجمود في العقيدة
نسوا ما جاء في الكتاب وأيديته السنة من أن الايمان يعتمد اليقين
ولا يجوز الاخذ فيه بالظن وان العقل هو ينبوع اليقين في الايمان

بالله وعلمه وقدرته والتصديق برسالة وان النقل ينموع له فيما بعد ذلك (١) من علم الغيب كاحوال الآخرة وفرض العبادات وهياتها وان العتمل ان لم يستقل وحده في ادراك ما لا بد فيه من النقل فهو مستقل لا محالة في الاعتقاد بوجود الله وبأنه يجوز أن يرسل الرسل فتأتينا عنه بالمنقول — نسوا ذلك كله وقالوا: لا بد من اتباع مذهب خاص في العقيدة وافترقوا فرقا وتمزقوا شيعا كما قلنا ولم يكفهم الالتزام باتباع مذهب خاص في نفس المعتقد بل ذهب بعضهم الى انه لا بد من الاخذ بدلائل خاصة للوصول الى ذلك المعتقد فيكون التقليد في الدليل كالتقليد في المدلول وكانهم لذلك جعلوا النقل عمادا لكل اعتقاد وباليته النقل عن المعصوم بل النقل ولو عن غير المعروف فتقررت لديهم قاعدة: ان عتيدة كذا صحيحة لان كتاب كذا المصنف فلان يقول ذلك: ولما كانت الكتب قد تختلف أقوالها صار من الصعب ان يجد الواحد منهم لنفسه عقيدة قارة صافية غير كدرة ولا متزعزعة. وقد سرى ذلك من قراء المقلدين الى أممهم

(١) يعني ان الاخذ بما جاء به الرسل متوقف بالفعل وفاقا لنظر العقل على التصديق بان الله أرسلهم فهو لا يكون الا بعده. وهذا قطعي بالنسبة الى من يدعى الى الدين من الكفار والى اقامة الحججة على المنكر وأما الناشيء في الاسلام فلا ترتب عنده في ذلك فهو ياخذ العلم بالله وصفاته وادلتها العقلية من القرآن مباشرة

فتراهم يعتقدون كل ما يقال وينقل عن معروف الاسم وان لم يكن
في حق الامر من أهل العلم وتتناقض عقائدهم على حسب
تناقض مسموعاتهم

انجر التساهل في الاعتماد على النقل الى الخروج عما اختطه
لنا السلف رضي الله عنهم فقد كانوا ينقبون عن صفات من ينقلون
عنه ويمتحنون قوله حتي يكونوا على شبه اليقين من أنه موضع الثقة
ولكن جمود المتأخر على ما يصل اليه من المتقدم صير النقل فوضى
فتجد كل شخص باخذ عن عرفه وظن أنه أهل للاخذ عنه بدون
بحث ولا تنقيب حتى شاع بين الناس من الاقوال وموضوعات
الاحاديث ما ترتفع الاصوات بالشكايه منه من حين الى حين ،
وكل ما تراه من البدع المتجددة فمنشؤه سوء الاعتقاد الذي نشأ
من رداءة التليد والجمود عند حد ما قال الاول بدون بحث في دليبه
ولا تحقيق في معرفة حاله واهمال العقل في العقائد على خلاف ما يدعو
اليه الكتاب المبين والسنة الطاهرة . دخلت على الناس لذلك عقائد
يحتاج صاحب الغيرة على الدين في اقتلاعها من أنفسهم الى عناء
طويل وجهاد شديد وسلاح الكتاب وسلاح أعدائه أقوال
بعض من تقدم من يعرف ومن لا يعرف — وما أكثر عدد من
ينصر أعداءه اليوم وما أقلهم غدا إن شاء الله

سأل سائل من الاستاذ شيخ الجامع الازهر عن حكم عمل من

الاعمام الجارية في المساجد يوم الجمعة — ومنزلة الشيخ من
الرياسة في أهل العلم بالدين منزله — فأقنى بما ينطبق على السنة
وما يعرفه العارفون بالدين وقل: ان العمل بدعة من البدع يجب
التنزه عنها. أتظن أن المستفتي أمكنه العمل بمقتضى الفتيا؟ كلا.
حدث قيل وقال، وكثرة تسأل، ودخات السياسة ثم قيل ان
الزمان ناصر الحقيقة وقد وجدنا الامر كذلك من قبلنا. وسكت السائل
وماذا يصنع المجيب؟. نعم هذا من شؤم ذلك الجود فقد فصل
بين العامة ومن يرجى فيهم تقويم ما عوج منها ووكها الى أناس
منها لا علم لهم بالدين ولا بالادب وقد غرسوا في أذهان الدهماء شر
الغرس ولا تنجي الامم منه الا آخبت الثمر. فلو قام العالم بالدين وأراد
أن يبين حكم الله المصريح به في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم
المجمع عليه عند الساف قاطبة انتصب له ناعر من العامة يصيح في
وجهه « ماسمعنا بهذا في آباءنا الاولين » ويريد من آباءه الاولين
من رأيهم بعد ولا دته أو ذكرت له أسماؤهم بلسان مضايه حتى
صار ارشاد العامة اليوم من أصعب الامور وأشقها على طالبه
ماذا يمكن أن أقول أصبح الرجل يرتكب في وسائل العبادة
أقبح المنكرات في الدين واذا دعي الى ترك المنكر نفر وزمجر، وأبى
واستكبر، انظر ماذا يصنع الموسوسون ومن يقرب منهم في الاستبراء
من البول على مرأى من المارة وفيهم النساء والاطفال وهم يظنون

أنهم يتقربون إلى الله بما يفعلون
 هذا هو شأن العادة يرون ما ليس بدين ديننا ويصعب على
 حفظ الدين ارشادهم بفضل جودهم على ما ورثوا من ملقنيهم بدون
 تعقل. فهذا معظم الأمة تراه قد تخلص من أيدي مندرية ولو شاؤوا
 لا قبل كل منهم على صاحبه وهو أيسر شيء على حملة الشريعة وما
 هو إلا أن يرجعوا إلى ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه
 من سعة الدين وسماحته، ثم العمل على حفظته وحياته

﴿ الجود و متعلمو المدارس النظامية ﴾

ثم إن الجود قد أحدث لنا فريقاً آخر وهو فريق المتعلمين
 على الطرق الجديدة إما في مدارس الحكومات الإسلامية وإما في
 المدارس الأجنبية داخل بلادهم أو خارجاً عنها. لا أتكلم عن
 هذا الفريق في بلاد القرم أو القوقاس أو سمرقند و بخارى أو الهند
 قاني لا أعرف كثيراً من أحوالهم ومن رأيته منهم رأيت فيه خيراً
 وأرجو أن يكون منهم لقومهم ما ينتظره الإسلام من العارفين به
 فقد رأيت أفراداً قليلين من هؤلاء تعلموا في البلاد الأوروبية ودرسوا
 العلوم فيها درساً دقيقاً وهم أشد تمسكاً بلب الدين الإسلامي وروحه
 من كثير ممن بدعي الورع والتقوى ولا يسمحون لأنفسهم بترك عادة

صحيحة من العادات التي أورثها دينهم قومهم فنعم المتعلمون هؤلاء
أكثر الله منهم

وانما أتكلم عن هذا الفريق من المتعلمين في مصر وسورية
وسائر بلاد الدولة العثمانية . سماحة الاسلام وسعة حلمه للعلم أباحت
للمسلمين ان يرسلوا اولادهم ليأخذوا العلم في المدارس الرسمية وغير
الرسمية عن أساتذة فيهم المسلم وغير المسلم أو عن أساتذة كلهم غير
مسلمين بل في مدارس لم تبين الا لترويج دين غير الدين الاسلامي
وأباحت لغير آباء هؤلاء التلامذة ان يسكتوا وأن لا ينكروا عليهم
عملهم مادامت العقيدة سالمة من الهدم أو الضعفة

جمود تلاميذ المدارس الاجنبية

هؤلاء التلاميذ ان كانوا في مدارس اجنبية لا اثر لتعليم الدين
الاسلامي فيها بل ربما يتعلم فيها دين آخر فقد يسري الى عقائدهم
شيء من الضعف وقد تذهب عقائدهم بالمرّة وتخل مكانها عقائد
أخرى تناقضها كما شوهد ذلك مرارا . ولو كان آباؤهم على علم بطرق
الاستدلال الاقناعية لعقائد دينهم لدعموا من عقائد ابنائهم وحفظوها
من التزلزل او الزوال . وكيف يكون لارثك الآباء شيء من هذا
العلم مع الجود على طرق قديمة لا يصل الى فهمها من ينقطع لتعلمها
فضلا عن اولئك المساكين . بل لو كان هناك مرشدون على طريقة

يسهل فهمها لتيسر لهؤلاء التلامذة ان يهتدوا بهديهم وانكن الجمود
صير كل شيء صعبا. وكل أمر غير مستطاع
فهذه جناية من جنایات الجمود على أبناء المسلمين الذين يتعلمون
في مدارس أجنبية يخرجهم من دينهم من حيث لا يشعرون. وياليتهم
يستبدلون بالدين رادعا آخر من الادب والحكمة كما يرجو بعض
المغرورين الذين لا يعلمون طبائع هذه الامم أو كما يروجه بعض من
لا يريد الخير بها. ولكنه ترك أفئدتهم هواء خالية من كل زاجر او دافع
اللهم الا زاجرا عن خير أو دافعا الى شر فاتخذوا إلههم هواهم وامامهم
شهوتهم فهلكوا وأهلكوا. ومن هؤلاء ورثة الاغنياء الذين تصيح من
شورر أعمالهم الجرائد كل يوم. فالجهل خير مما يتعلم هؤلاء بدون
ربية وليت الاسلام لم يرحب صدره لمثل هذا الضرب من التعليم والتعلم

﴿ جمود تلاميذ المدارس الرسمية والاهلية : ﴾

أما المتعلمون في مدارس رسمية أو غير رسمية للتعليم الديني فيها
شيء من البقية فهؤلاء ينشأون على شيء من المعارف في الفنون
المختلفة وتقرر لهم حقائق في السكون السماوي أو الارضي أو في
الاجتماع الانساني ومن عرف شيئا انطلق لسانه بالخوض فيه وقد
يسمعه متنطع ممن يلبس لباس أهل الدين وهو جامد على ألفاظ
سمعتها فلو سمع غيرها أنكره وظنه مخالفا للعقيدة الصحيحة فيأخذ

يلوم المتعلم ويوبخه ويرميه بالمروق من الدين . هذ والمتعلم لا يشك في قوة دليله ولجهاله بالدين يعتقد أن مايقوله خصمه منه فينفر من دينه نفرته من الجهل . ولو قال له قائل : ارجع الى كتب الدين تجد فيها ما يسرك وينصرك على نفسك وخصمك . حار لا يدري الى أي كتاب يرجع ولم يسهل عليه فهم تلك العبارات التي ورثها القوم على ما فيها من تشبث وتعقيد وأبقوها كما ورثوها . فيعود الى النفور من الدين نفور طالب الفهم مما لا يمكنه فهمه

لهذا يعتقد أكثر هؤلاء ان الدين شيء غير مفهوم بل قد يعده بعضهم خرافة « نعوذ بالله » بماأخذون عنه جانبا ويتركون عقائده وفضائله وآدابه ويلتمسون لهم آدابا في غيره وقلما يجدونها فتراهم وقد فترت قلوبهم وقصرت هممهم فلا يطلبون الا ما نطلبه العامة من كسب معيشة او علوجاه ويسلكون الى ذلك أي طريق ولو أضرروا بالعامة أو الخاصة « مادام الشرف محفوظا » فاذا وجد بينهم من يدعي الوطنية او الغيرة المالية أو نحو ذلك فانما ينثر الالفاظ نثرا لا يرجع فيها الى أصل ثابت ولا الى علم صحيح ولهذا يطلب المصلحة لبلاده من الوجه الذي يؤدي الى المفسدة وهو يشعر أولا يشعر على حسب حاله . ومنهم من يصبح باسم الدين ولا تتحرك نفسه لمعرفة حكم من أحكمه أو درس عقيدة من عقائده فشأنهم كلام في كلام ولبئس ما يصنعون . ولولا هذا الجمود لوجدوا في كتب دينهم وفي

أقوال حملته ما تتهيج به قلوبهم ، وتطمئن اليه نفوسهم ، ولذا قوا
 طعم العلم مادوما بالدين. وتمكنوا من نفع أنفسهم وقومهم ولو وجدت
 منهم طبقة معروفة يرجع اليها في سير الامة وسياسة أفكارها
 وأعمالها الاجتماعية .

﴿ الجمود علة نزول ﴾

﴿ المقال الخامس لذلك الامام الحكيم ﴾

(وفيه بيان علاج الداء)

تفصيل مضرات هذا الجمود وسيئاته يحتاج الى كتاب طويل
 فنكتفي بما أوجزناه في الصفحات السابقة. ولكن يبقى الكلام
 في أنه عارض يمكن زواله ان شاء الله تعالى .

قد عرفت من طبيعة الدين الاسلامي بعد عرضها عليك فيما سبق
 انها تسمو عن ان ينسب اليها هذا المرض الخبيث - مرض الجمود
 على الموجود - وكما في الكتاب من آية تنفر من اتباع الآباء
 مهما عظم امرهم بدون استعمال العقل فيما كانوا عليه ولا حاجة الى
 إعادة ذلك . ثم اننا أشرنا أيضا الى بعض الاسباب التي جلبت
 هذا الجمود على المسلمين لاعلى الاسلام وان محدثها إما عدو للمسلمين
 طالب لخفض شأنهم أو لاستعبادهم واستغلال أيديهم لخاصة نفسه
 ٩ - الاسلام والنصرانية

وإما محب جاهل يظن خيرا ويعمل شرا. وهذا الثاني كان أشد نكايته
وأعون على الغواية ، وهل نزول هذه العلة ويرجع الاسلام الى سمته
الاولى وكرمه الفياض وبنهض بأهله الى ما ذكر لهم فيه ؟؟

جاء في الكتاب المبين « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »
ذلك الذكر هو الذكر الحكيم - هو القرآن الذي أحكمت آياته ثم
فصلت من لدن حكيم خبير. هو كما قال (كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا
لقوم يعلمون) وعد الله بحفظ هذا الكتاب وقد انجز وعده لم تطل اليه
يد عدو مقاتل ، ولا يد محب جاهل ، فبقي كما نزل ولا يضره عمل
الفريقين في تفسيره وتأويله فذلك مما لا يلتصق به ، فهو لا يزال بين
دقات المصاحف طاهرا نقيًا بريئا من الاختلاف والاضطراب ،
وهو إمام المتقين ، ومستودع الدين ، واليه المرجع اذا اشتد الامر ،
وعظم الخطب ، وشتمت النفوس من التخبط في الضلالات ، ولا
يزال لأشعة نوره نفوذ من تلك الحجب التي أقاموها دونه ولا بد
أن تتمزق كلها بأيدي أنصاره. فيتبلى ضياؤه لآعين أوليائه. ان
شاء الله تعالى

هذا الضياء كان ولا يزال يلوح لامعه في حنادس الظلم لافراد
اختصهم الله بسلامة البصيرة فيهمدون به اليه ويحمدون سرهم ،
بما عرفوا من نجاح مسعاهم ، ولكن الذين أطبقت عليهم ظلم البدع
وران على قلوبهم ما كسبوا من التحزب للشيعة ، وطمست بصائرهم

وفسدت عقولهم ، بما حشوها من الابطال وبما عطلوها عن النظر
 في الدليل ، هؤلاء في عمى عن نوره وقلوبهم في أكنة ان يفقهوه
 وفي آذانهم وقر ، يصيحون بأنهم عمي صم فلا يرون له سناء ، ولا
 يسمعون له نداء ، ويعدون ذلك من كمال الايمان به ولبئس ما رضوا
 لانفسهم من السفه وطيش الحلم وهم يعلمون ، هذا حال الجمهور
 الاعظم ممن يوصفون بأنهم مسلمون ويحلبون العار على الاسلام
 بدخولهم تحت عنوانه ، ويقوون حجج أعدائه في حربه بزعمهم
 الاجتماع تحت لوائه ، وما هم منه في شيء كما قدمنا

هؤلاء لا بد أن يصيبهم ما أصاب الامم قبلهم فقد اتبعوا سننهم
 شبرا بشير وذراعا بذراع وضيقوا على أنفسهم بدخولهم في جحر
 الضب الذي دخلوه (١) ومن اتبع سنن قوم استحق الوقوع
 تحت أحكام سنن الله فيهم . فان يخلص مما قضى الله في عذابهم ،
 فقد قص عليهم سير الاولين وبين لهم ما أنزل بهم عند ما انحرفوا
 عن سننه وحادوا عن شرعه وذبذبا كتابه وراءهم ظهريا — أحل
 بهم الذل ، وضرب عليهم المسكنة ، وأورث غيرهم أرضهم وديارهم
 فهل ينتظر المتبعون سننهم ، السائرون على أثرهم ، أن يصنع الله

(١) المنار في الكلام اشارة الى حديث « لتتبعن سنن من قبلكم شبرا
 بشبر وذراعا بذراع حتي لو دخلوا جحر ضب لدخلكموه » الحديث
 رواه الشيخان وغيرها

بهم غير الذي صنع بسابقهم. وقد قضي بأن تلك سنته ولن تجد سنته تبديلا
لا تزال الشدائد تنزل بهؤلاء المنتسبين الى الاسلام ولا تزال
القوارع تحل بدبارهم حتى يفيقوا (وقد بدأوا يفيقون من سكراتهم)
ويفرعون الى طالب النجاة ويغسلوا قذى المحدثات عن بصائرهم
وعند ذلك يجدون هذا الكتاب الكريم في انتظارهم : يعد لهم
وسائل الخلاص ويؤيدهم في سبيله بروح القدس ويسير بهم الى
منابع العلم فيعترفون منها ما يشاؤون فيعرفون أنفسهم ويشهدون ما
كان قد كمن فيها من قوة فيأخذ بعضهم بيد بعض ويسيرون الى
المجد غير ناكبين ولا مخذولين . ولهذا أقول : ان الاسلام لن
يقف عثرة في سبيل المدنية أبدا ولكنه سيهدبها وينقيها من أوضارها
وستكون المدنية من أقوى أنصاره متى عرفته وعرفها أهله . وهذا
الجمود سيزول وأقوى دليل لك على زواله بقاء الكتاب شاهدا
عليه بسوء حاله ولطف الله بتقييض أناس للكتاب ينصرونه ،
ويدعون اليه ويؤيدونه ، والحوادث تساءلهم ، وسوط عذاب الله
النازل بالجامدين ينصرهم

هذا الكتاب المجيد الذي كان يتبعه العلم حيثما سار شرقا وغربا
لا بد أن يعود نوره الى الظهور ويمزق حجب هذه الضلالات
ويرجع الى موطنه الاول في قلوب المسلمين ويأوي اليها — العلم
يتبعه وهو خليله الذي لا يأنس الا اليه ، ولا يعتمد الا عليه

يقول اولئك الجامدون الخامدون — كما يقول بعض أعداء القرآن: ان الزمان قد أقبل على آخره ، وإن الساعة أوشكت ان تقوم وان ما وقع فيه الناس من الفساد وما مني به الدين من الكساد وما عرض عليه من العلل وما نراه فيه من الخلال إنما هو أعراض الشـيـخوخة والهـرم فلا فائدة في السعي ولا ثمرة للعمل فلا حركة إلا الى العدم ولا يصح أن يمتد بصـرنا الا الى العدم ولا أن ننظر من غايـة لـاعـمـالنا سوى العدم (نـوـذ بالله) هؤلاء حفدة الجهل وأعوان اليأس يهرفون بما لا يعرفون . ماذا عرفوا من الزمان حتى يعرفوا أنه كاد ينقطع عند نهايته ؟ ان الذي مضى بيننا وبين مبدأ الاسلام ألف وثلاثمائة وعشرون عاما وإنما هي يوم وبعض يوم أو بعض يوم فقط من أيام الله تعالى . وان آيات الله في الكون — وان كانت تدل على أن ماضى على الخليفة يقدر بلدهور الدهارير — تشهد بأن ما بقي لهذا النظام العظيم يقصر عن تقديره كل تقدير (فاهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا)

ان ما بيننا وبين مبدأ الاسلام لا يزيد عن عمر ستة وعشرين رجلا كل رجل يعيش خمسين سنة فهل يعد مثل ذلك دهرا طويلا بالنسبة الى دين عام كدين الاسلام ؟ ان زمنا كهذا لا يكفي — وقد تبين انه لم يكفي — لاهتداء الناس كانه بهديه . ولم تقوم القيامة على الدين ولم تقم على شرهم وطمعهم ؟

قد وعد الله بأن يتم نوره وبأن يظهره على الدين كله فسار في سبيل التمام والظهور على العتائد الباطلة أعواماً ثم انحرف به أهله عن سبيله وساروا به إلى ما يرون ونرى ولن ينقضي العالم حتى يتم ذلك الوعد ويأخذ الدين بيد العلم ويتعاوننا معاً على تقويم العتل والواجدان فيدرك العقل مبلغ قوته ، ويعرف حدود سلطنته فيتصرف فيما آتاه الله تصرف الراشدين ، ويكشف ما مكنه فيه من أسرار العالمين ، حتى إذا غشيت سبجات الجلال وقف خاشعاً ، وقنل راجعاً وأخذ أخذ الراسخين في العلم الذين قال فيهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) فيما روي عنه : « هم الذين أغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب ، الاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب ، فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً ، وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً » واعتبر بعد ذلك بقوله : « فاقصر على ذلك ولا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عتلك فتكون من الهالكين هو القادر الذي اذا ارتمت الاوهام لتدرك منقطع (١) قدرته وحاول الفكر المبرأ من خطرات الوسواس أن يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته ، وتولت (٢) القلوب إليه لتجري في كيفية صفاته وغمضت

(١) المنقطع ما ينقطع عنده الشيء وهو آخره (٢) تولت اشتد عشقها

مداخل العقول في حيث لا تبلغه الصفات لتناول علم ذاته ، ردعها وهي تجوب مهاوي سدف (١) الغيوب متخلصة اليه سبحانه ، فرجعت اذ جبهت (٢) معترفة بأنه لا ينال بجور الاعتساف كنهه . معرفته ولا تخطر ببال أولي الروايات خاطرة من تقدير جلال عزته «

هنالك يلتقي (أي العقل) مع الوجدان الصادق (القلب)

ولم يكن الوجدان ليدابر العقل في سيره داخل حدود مملكته متى كان الوجدان سليما ، وكان ما استضاء به من نبراس الدين صحيحا اياك ان تعتقد ما يعتقده بهض السدج من ان فرقا بين العقل والوجدان (القلب) في الوجهة بمقتضى الفطرة والغريزة . فانما يقع التخالف بينهما عرضا عند عروض العال والامراض الروحية على النفوس . وقد أجمع العقلاء على ان المشاهدات بالحس الباطني (الوجدان أو القلب) من مبادي البرهان العقلي كوجدانك انك موجود ووجدانك لسرورك وحزنك وغضبك ولذتك وألمك ونحو ذلك

منحنا العقل للنظر في الغايات ، والاسباب والمسببات والفرق بين البسائط والمركبات — والوجدان لادراك ما يحدث في النفس والذات من لذائذ وآلام وهلع واطمئنان وشماس واذعان ونحو

(١) السدف جمع سدفة كظلمة لفظا ومعنى (٢) جبهه ضربت

جبهته ورد

ذلك مما يذوقه الانسان ولا يحصيه البيان فهما عيان للنفس تنظر
 بهما — عين تقع على القريب وأخرى تمتد الى البعيد وهي في حاجة
 الى كل منهما ولا تنتفع باحدهما حتى يتم لها الانتفاع بالآخرى
 فالعلم الصحيح مقوم الوجدان. والوجدان السليم من أشد أعوان
 العلم. والدين الكامل علم وذوق، عقل وقلب، برهان واذعان، فكر
 ووجدان. فاذا اقتصر دين على أحد الامرين فقد سقطت إحدى
 قائمته. وهيات ان يقوم على الاخرى. ولن يتخالف العقل والوجدان
 حتى يكون الانسان الواحد إنسانين والوجود الفرد وجودين
 قد يدرك عقلك الضرر في عمل ولكنك تعمله طوعا لوجدانك
 وربما أيقنت المنفعة في أمر وأعرضت عنه اجابة لدافع من سريرتك
 فتقول: ان هذا يدل على تخالف العقل والوجدان. ولكني أقول
 ان هذه حجة من لا يعرف نفسه ولا غيره. عليك ان ترجع الى
 نفسك فتتحقق من أحد الامرين — اما أن يقيمك ليس بيقين وأنه
 صورة عرضت عليك من قول غيرك فأنت تظنها علما وما هي به :
 واما أن وجدانك وهم تمكن فيك وعادة رسخت في مكان القوة منك،
 وليس بالوجدان الصحيح وانما هو عادة ورثتها عن حولك وظننتها
 شعورا منبعه الغريزة وما هي منه في شيء

(نتيجة) لا بد أن ينتهي أمر العالم الى تأخي العلم والدين
 على سنة القرآن والذكر الحكيم. ويأخذ العالمون بمعنى الحديث

الذي صح معناه (١) « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله » وعند ذلك يكون الله قد أتم نوره ولو كره الكافرون (٢) وتبعهم الجامدون القانطون . وليس بينك وبين ما أعدك به الا الزمان الذي لا بد منه في تنبيه الغافل وتعليم الجاهل وتوضيح المنهج وتقويم الاعوج وهو ما تقتضيه السنة الالهية في التدرج (سنة الله في الدين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) . (انهم يرونه بعيداً

(١) المنار — قال العراقي : رواه ابو نعيم في الحلية بالمرفوع منه باسناد ضعيف . ورواه الاصبهاني في الترغيب والترهيب من وجه آخر أصح منه . ورواه الطبراني في الاوسط والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر وقال : هذا اسناد فيه نظر . قلت فيه الوازع بن نافع متروك . وقال الزبيدي في شرح الاحياء : قلت حديث ابن عمر لفظه « تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله » هكذا رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التفكير وأبو الشيخ في العظمة والطبراني في الاوسط وابن عدي وابن مردويه والبيهقي وضعفه والاصبهاني وأبو نصر في الابانة وقال غريب . ورواه ابو الشيخ من حديث ابن عباس « تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانكم لا تقدرون قدره » ورواه ابن النجار والرافعي من حديث أبي هريرة « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله » الخ . وتعدد هذه الروايات واجتماعها يكسبها قوة والمعنى صحيح كما قال الحافظ السخاوي في المقاصد

(٢) الكافر من يرى الدليل فيصد عنه ولا ينظر فيه او ينظره فيعرف الحق ثم يماري فيه وينكره عنادا . اه من هامش الاصل

وزراه قريبا* ان تنصر والله ينصركم ويثبت أقدامكم) وهو خير الناصرين

﴿ حرية العلم في أوروبا الآن ﴾

﴿ ونسبتها الى الماضي والحاضر في الاسلام ﴾

(وهو المقال السادس لذلك الامام الحكيم)

لم يبق علينا من الكلام الا ما يتعلق بالامر الرابع مما ذكرته
الجامعة (١) وهو « ان تمكن العلم والفلسفة من التغلب على الاضطهاد
المسيحي في أوروبا وعدم تمكنهما من التغلب على الاضطهاد الاسلامي
دليل واقعي على أن النصرانية كانت أكثر تسامحا مع الفلسفة »
ليس من السهل عليّ أن أعتقد أدبيا كصاحب الجامعة يقول
هذا القول وهو ناظر الى الحقيقة بكتاعينيه مع معرفته بلسان الغربيين
واطلاعه على ما كتبوا في هذه المسألة وهي من أهم المسائل التاريخية
وانما هي عين الرضى تناولت من حاضر الحال ومما انتهى اليه سير
التاريخ ما تناولت ثم أملت على قلبه ماجرى به قلبه

هل يصح ان تسمى الاستكانة للغالب تسامحا؟ وهل يسمى
العجز مع النطلم للنزاع عند القدرة حلما؟ أم يسمى غل الايدي عن

(١) يذ كر الفراء ان كلام الجامعة في الطعن بالاسلام كان مبنياً على
اربعة امور تقدم الرد على ثلاثة منها وفي هذا المقال الرد
على الرابع

الشر بوسائل القهر كرما؟ هل تعدمسا كنة جناب البابا الملك ايطاليا
 في مدينة واحدة واجتماع الكرسيين العظيمين كرسي المملكة الايطالية
 وكرسي المملكة البابوية في عاصمة واحدة تسامحا من قداسة البابا
 مع الملك؟ أليس الاجدر بالمنصف أن يسمي ذلك تسامحا من الملك
 مع البابا لانه صاحب القوة والجيش والسلطنة ويمكنه أن يسلب
 البابا تلك الثمالة التي بقيت له من السلطنة المملكية؟ كما أن الا ليق
 به أن يسمي تلك الحالة التي عليها اهل أوروبا اليوم من طمانينة
 العلم بينهم بجانب الدين تساهلا من العلم مع الدين لا تسامحا من
 الدين مع العلم بعد ما كان بينهما من الحوادث ما كان وبعد غلبة
 العلم واستيلائه على عرش السلطان في جميع الممالك ورضاء الدين
 بأن يكون تابعا له في أغلبها

﴿ اقتباس مدنية أوروبا من الاسلام ﴾

﴿ وأسباب ظهورها التام ﴾

السبب الاول الجمعيات :

كان جلااد بين العلم والدين في أوروبا وتألفت لنصرة العلم
 جمعيات واحزاب منها ما اتخذ السر حجابا له حتى يقوى ومنها ما ابتدأ
 بالمجاهرة . وكان الدين يظفر بالعلم كما سبق بيانه لكثرة أعوانه
 وضعف أعوان العلم حتى أشرقت الآداب المحمدية على تلك البلاد

من سماء الاندلس وتبع اشراق تلك الآداب واشتغال الناس به
 سطوع نور العلم العربي من الجانب الشرقي كما ذكرنا . وقد وجد
 هذان النوران استعداداً من النفوس للاستضاءة بهما في السبيل
 التي تؤدي بهما الى المدينة التي كان يحملانها . هذا الاستعداد كسبته
 النفس بما ضايقها من غلور وفساد الدين . في استعمال سلطانهم واشتدادهم
 في استعباد العقل والوجدان حتى ضاق ذرع الفطرة عن الاحتمال
 فأخذ الشعور الانساني يتلمس السبيل الى الخلاص وإذلاح له
 هذان النوران اتخذا له هداية واستقباهما بوجهه وكان بعد
 ذلك ما كان من تأثير الدين لاهل العلم واحراقهم بالنيران ، ونفيهم
 من الاوطان ، ومقاومة رؤساء الدين للحكومات ولاهل الافكار
 المستقلة في أدنى الاشياء وأعلاها حتى انه عند ما شرع ملوك فرنسا
 في فرش شوارع باريس بالبلاط على الاسلوب الذي وجدوه في
 مدينة قرطبة وصدر الامر بمنع تربية الخنازير في تلك الشوارع
 أغضب ذلك قسوس القديس أنطوان ونادوا بان خنازير القديس
 لا بد أن تمر في الشوارع على حريتها الاولى وحصل لذلك شعب
 عظيم اضطر الحكومة أن تسمح بذلك مع صدور الامر بان توضع
 في أعناقها أجراس . وقالوا ان الملك فيليب السمين مات بسقطة عن
 فرسه عند ما انزعج الفرس من منظر خنزير وصالمة الجرس في عنقه
 لقائل ان يقول : ان القسوس في ذلك الزمان كان يمكنهم

أن يمتنعوا من وضع الاجراس في أعناق الخنازير فرضاهم بذلك يعد
تسامحا عظيما مع العلم (أو الصناعة) ويسهل علي أن أوافقه على
ان مثل هذا الضرب من التسامح في اجراس الخنازير كان يظهر
من حين الى حين الا أنه فيما أظن لا يكفي في تشييد هذه المدنية
التي يفتخر بها الاوريون اليوم ونحن لانبخسها قدرها كذلك

﴿ السبب الثاني الضغط الديني ﴾

شدة الحاجة وغلو الرؤساء كانا يوقدان الغيرة في قلوب طلاب
العلوم فلم تقتر لهم همة . فعظم أمرهم واكتشفوا كثيرا من الحقائق
التي نفعت العامة ونبته العقول للاخذ بما يهتدون اليه وصارت
الحرب بينهم وبين رؤساء الدين سجالا الى أن ظهر دعاة الاصلاح
الديني (البروتستانت) فانضم دعاة العلم اليهم ظنا منهم أن
سيكونون معهم من المجاهدين في سبيل العلم . وكان منهم ايراسم
الشهير فلما انتصر طلاب الاصلاح ودالت لهم دولة استمروا يعاقبون
بالموت على الافكار التي تخالف ظاهر ما يعتقدون كما تقدم فانفصل
ايراسم ومن معه من حماة الحرية واستقلال الارادة الشخصية
وترك المصالحين يتفرقون شيئا وبقتل بعضهم بعضا وقال : ما كنت
أظن ان دعاة الاصلاح يكونون كذلك أعداء العلم

هذه الطوائف التي تفرقت عقائدها في الاصلاح لم تنتظر الا
 أن تأمن عدوها العام وهو الكنيسة الكاثوليكية الرومانية فلما
 أمنتها أخذ بعضها يصول على بعض واشتعلت نيران الحروب بينهم
 قال أحد أفاضل مؤرخيهم . « وكما ارتفعت طائفة منهم الى عرش
 القوة لوثت يديها بالجرائم في العمل لافناء البقية حتى سئمت النفوس
 دوام تلك الحال ووجدت من توالي حوادث الانتقام وظهور مضاره
 في كل طائفة ان الافضل لكل طائفة ان تمنح الاخرى من الحرية
 مالا تستغني عنه واحدة منهما . والعلم كان يعمل عمله في كشف
 الحقائق وترقية الآداب وكان من أقوى المنبهات الى مضار الحروب
 ومفاسد العدوان على حرية الاشخاص من أي طائفة كانت . من
 هذا نشأ ذلك الاصل العظيم أصل التسامح والرضى بمجاورة المخالف
 في الرأي : نشأ من القهر والقسوة التي كانت كل طائفة تعامل بها
 الاخرى » انتهى كلام المؤرخ بالمعنى

السبب الثالث الثورة :

ولا حاجة بي الى ذكر ما جاءت به الثورة الفرنسية وكيف
 كانت قيامتها على الدين ورؤسائه مما هو معلوم . وإنما أنبه القارىء
 الى الاعتبار بما تقدم من اقول . وبما يمكنه أن يقف عليه في كتب
 القوم ليعلم ان الدين المسيحي في أوربا لم يحتمل العلم فضلا وكرما

وإنما قويت عليه أحزاب العلم فساموه استنكانه وخضوعا ، ولو شاء
أن لا يمتثل لم يستطع الى ذلك سبيلا .

السبب الرابع ترك المسيحية :

رؤساء الدين المسيحي رجال ذوو عزيمة واقدام وغيره على
دينهم قلما يبدانهم فيها رؤساء دين من الاديان . وهم مع غلوهم في
الدين واشتدادهم في استعمال سلطانهم على النفوس كانوا ولا يزالون
يتخذون كل وسيلة لتأييد دينهم . وهم أشد الناس حرصا على تقويم
أركانه ودفن الشبه عنه ولم يزد هم العلم الجديد الا وسائل وسبلا
لترويج عقائده وآدابه ولم تفتقر لهم هممة في نشره وتزيينه للقلوب .
ومع ذلك كله ترى ان رجال العلم وحماة المدنية يتسللون منه ، والعامه
من الشعوب في تخاذل ، والامة الفرنسية التي كانت تدعى
بنت الكنيسة أصبحت من أشد الناس عليه ، ورأت فلسفتها
أن تحدد حرية أهل الدين في تعاليمهم واجتماعهم : كل ذلك ومدارس
اللاهوت لا تزال عامرة وطلاب اللاهوت يمدون بالالوف : كل
ذلك وكثير من الدول ترى من مزاياها حماية الدين المسيحي في
أقطار الارض .

قل احد رؤساء البروتستان في خطبة من خطبه التي ألقاها
في بعض البلاد الفرنسية سنة ١٩٠١ بعد كلام له في أن المسيحية

رومانية أو بروتستانية فقدت خاصتها الدينية كما فقدت فائدتها الاجتماعية مانصه مترجما: اذا كان الدين المسيحي ليس شيئا سوى الكشلكة المحتاجة الى الاصلاح (المذهب الروماني) أو الكشلكة التي دخلها الاصلاح بالفعل (المذهب البروتستنتي) فالقرن الموفي للعشرين (القرن الحاضر) لا يكون مسيحيا أبدا « وقد جاء في كلام هذا الخطيب ما يصرح بانه يريد أن يطالب للمسيحية معنى آخر ينطبق كل الانطباق على اعتقاد المسلمين فيها فان وفق للنجاح في سعيه زال الخلاف — ان شاء الله — بين الدين والعلم بل بين المسيحية والاسلام

✽ عود الى سماحة الاسلام ✽

أخذ بيد القارئ الآن، وأرجع به الى ماضى من الزمان وأقف به وقفة بين يدي خلفاء بني أمية والائمة من بني العباس ووزرائهم . والفقهاء والمتكلمون والمحدثون والائمة المجتهدون من حولهم ، والادباء والمؤرخون والاطباء والفلكيون والرياضيون والجغرافيون والطبيعيون وسائر أهل النظر من كل قبيل مطيفون بهم وكل مقبل على عمله فاذا فرغ عامل من العمل أقبل على أخيه ووضع يده في يده يصفح الفقيه المتكلم والمحدث الطيب والمجتهد الرياضي والحكيم وكل يرى في صاحبه عوناً على ما يشتغل هو به .

وهكذا أدخل به بيتنا من بيوت العلم فاجد جميع هؤلاء سواء في ذلك البيت يتحدثون ويتباحثون والامام البخاري حافظ السنة بين يدي عمران بن حطان الخارجي يأخذ عنه الحديث . وعمر وبن عبيد رئيس المعتزلة بين يدي الحسن البصري شيخ السنة من التابعين يتلقى عنه وقد سئل الحسن عنه فقال للسائل . « لقد سألت عن رجل كأن الملائكة أدبته، وكأن الانبياء ربتة إن قام بأمر قعد به وان قعد بأمر قام به ، وان أمر بشيء كان ألزم الناس له ، وان نهى عن شيء كان ترك الناس له ، ما رأيت ظاهرا أشبهه بباطن منه ولا باطنا أشبهه بظاهر منه » بل أرفع بصري فاجد الامام أبا حنيفة أمام الامام زيد بن علي (صاحب مذهب الزيدية من الشيعة) يتعلم منه أصول العقائد والفقهاء ، ولا يجد أحدهم من الآخر الا ما يجد صاحب الرأي في حادثة ممن ينازعه فيه اجتهاداً في بيان المصاحبة وهما من أهل بيت واحد — أمر به بين تلك الصفوف التي كانت تختلف وجهتها في الطلب وغايتها واحدة وهي العلم . وعقيدة كل واحد منهم أن فكر ساعة خير من عبادة ستين سنة كما ورد في بعض الاحاديث (١)

(١) المنار رواه أبو الشيخ ابن حبان في العظمة عن ابي هريرة بسند ضعيف . ورواه من طريقه ابن الجوزي في الموضوعات ولكن له روايات اخرى منها رواية الديلمي في مسند الفردوس عن انس بلفظ (ثمانين سنة) وفي رواية موقوفة على ابن عباس « خير من قيام ليلة » ولشهرة هذا المعنى قال الغزالي وردت السنة بكذا

الخلفاء أئمة في الدين مجتهدون وبأيديهم القوة وتحت أمرهم الجيش، والفقهاء والمحدثون والمتكلمون، والأئمة المجتهدون الآخرون هم قادة أهل الدين ومن جند الخلفاء، الدين في قوته والعقيدة في أوج سلطانها، وسائر العلماء ممن ذكرنا بعدهم يتمتعون في أكنافهم بالخير والسعادة ورفه العيش وحرية الفكر، لا فرق في ذلك بين من دينهم ومن كان من دين آخر فهناك يشير القارىء المنصف الى أولئك المسلمين، وأنصار ذلك الدين ويقول ههنا، يطلق اسم التسامح مع العلم في حقيقته، ههنا يوصف الدين بالكرم، والحلم ههنا يعرف كيف يتفق الدين مع المدنية، عن هؤلاء العلماء الحكماء تؤخذ فنون الحرية في النظر، ومنهم تهبط روح المسالمة بين العقل والوجدان (أو بين العقل والقلب كما يقولون)

يرى القارىء انه لم يكن جلاد بين العلم والدين. وإنما كان بين أهل العلم أو بين أهل الدين شيء من التخالف في الآراء شأن الاحرار في الافكار الذين أطلقوا من غل التقييد، وعوفوا من علة التقليد، ولم يكن يجري فيما بينهم الهمز والتناوب بالالقباب فلا يقول أحد منهم لاخر انه زنديق أو كافر أو مبتدع، او ما يشبه ذلك. ولا تتناول احد منهم يد بأذى الا اذا خرج عن نظام الجماعة، وطلب الاخلال بأمن العامة، فكان كالعضو المجذم فيقطع ليذهب ضرره عن البدن كله

an
ideal
picture

﴿ ملازمة العلم للدين ﴾

﴿ وعدوى التعصب في المسلمين ﴾

متى ولع المسلمون بالتكفير والتفسيق ورمي زيد بأنه مبتدع وعمره بأنه زنديق؟ أشرنا فيما سبق الى مبدأ هذا المرض ونقول الآن: إن ذلك بدأ فيهم عندما بدأ الضعف في الدين يظهر بينهم وأكلت الفتن أهل البصيرة من أهله — تلك الفتن التي كان يشيرها أعداء الدين في الشرق وفي الغرب لحفض سلطانه ، وتوهين أركانه — وتصدر للقول في الدين برأيه من لم تمتزج روحه بروح الدين ، وأخذ المسلمون يظنون أن من البدع في الدين ما يحسن احداثه لتعظيم شأنه تقليدا لمن كان بين أيديهم من الامم المسيحية وغيرها . وأنشأوا بنسبون ماضي لدين ومقالات سلفهم فيه ، ويكتفون برأي من يرونه من المتصدرين المتعالمين ، وتولى شؤون المسلمين جهالهم ، وقام بإرشادهم في الاغلب ضلالهم ، في أثناء ذلك حدث الغلو في الدين ، واستعرت نيران العدوات بين النظار فيه ، وسهل على كل منهم لجهله بدينه أن يرمي الآخر بالمروق منه لادنى سبب . وكما ازدادوا جهلا بدينهم ازدادوا غلوا فيه بالباطل ودخل العلم والفكر والنظر (وهي لوازم الدين الاسلامي) في جملة ما كرهوه ، وانقلب عندهم ما كان واجبا من الدين محظورا فيه

لا أكاد أخطيء القارىء اذا زعم ان المسلم إنما استفاد اسم
زندقة وتزندق ومرتدق وزنديق من فضل ما علمه جيرانه اذا
كانوا يقولون : هرتقة وتهرتق وهو هرتوقي : أو ما يماثل ذلك —
أو زعم أن قد فشت في المسلمين سرعة التكفير بطريق العدوى
من أهل الملل المتشدة . وان الذي سهل سرعان العدوى بتلك
السرعة الشديدة هو ضعف المزاج الديني عند المسلمين بجهلهم بأصوله
مقوماته ، ومتى ضعف المزاج استعداد لقبول المرض كما هو معلوم
إن المسلمين لما كانوا علماء في دينهم كانوا علماء الكون وأئمة
العالم . أصيبوا بمرض الجهل بدينهم فأنهزموا من الوجود وأصبحوا
أكلة الآكل ، وطعمة الطاعم ، هل وقف الجهل بالمسلمين عند
تكفير من يخالفهم في مسائل الدين أو يذهب مذهب الفلاسفة أو ما
يقرب من ذلك ؟ لا بل عدا بهم الجهل على أئمة الدين ، وخدمة السنة
والكتاب فقد حملت كتب الامام الغزالي الي غرناطة وبعد ما انتفع
بها المسلمون أزمانا هاج الجهل بأهل تلك المدينة وأنطلقت السنة
المتعلمين من البربر بتفسيره وتضليله ، فجمعت تلك الكتب خصوصا
نسخ « احياء علوم الدين » ووضعت في الشارع العام في المدينة
وأحرقت . قال قوم يعدون أنفسهم مسلمين في ابن تيمية — وهو
أعلم الناس بالسنة وأشدهم غيرة على الدين — : انه ضال مضل :
وجاء على أثر هؤلاء مقلدون يملأون أفواههم بهذه الشتائم وعليهم
ائمها وائم من يقفونهم بها الى يوم القيامة

﴿ اهمال آثار السلف ﴾

﴿ وحال علوم الدين وطلابها ﴾

أهمل المسلمون علوم دينهم والنظر في أقوال سلفهم ، حتى انك لا تجد اليوم في أيديهم كتابا من كتب أبي الحسن الأشعري ولا أبي منصور الماتريدي ، ولا تكاد ترى مؤلفا من مؤلفات أبي بكر الباقلاني أو أبي اسحق الاسفرايني . واذا بحثت عن كتب هؤلاء الأئمة في مكاتب المسلمين أعياك البحث ، ولا تكاد تجد نسخة صحيحة من كتاب . كتب على القرآن تفاسير كثيرة في القرن الثالث من الهجرة وما بعده الى السادس — منها تفسير الطبري وتفسير أبي مسلم الاصفهاني وتفسير القرطبي وتفسير الجصاص وتفسير الغزالي وتفسير أبي بكر ابن العربي وكثير غيرها (١) وفيها من آراء اولئك الأئمة ووجوه استنباط الحكم والاحكام ما لا غني لطالب علم الدين عنه . فهل يجد الباحث المجد نسخة من هذه الكتب الجميلة يمكن الوثوق بصحتها الا بطريق المصادفة وحسن الاتفاق ؟ وهل يليق بامة تدعي

(١) قد طبع بعد وفاة الاستاذ رحمه الله تفسير الجصاص الحنفى وابن العربي المسمى وكلاهما خاص باحكام القرآن الفقهية ومن انفس ما الف فيها

أنها على دين وان لها فيه سلفا أن تهجر آثار سلفها وتدع ما كتبوا
طعمة للعث و فراشا للتراب؟ هل وقع مثل ذلك من المشغلين
باللاهوت المسيحي في زمن من الأزمان؟

the need
to investi-
gate into
heritage-

ان حالة طلبة العلوم الدينية الاسلامية أصبحت مما يرثى له في
أكثر بلاد المسلمين، فهم لا يقرءون من كتب الكلام المختصرات
مما كتب المتأخرون، يتعلم أذكاهم منها ما تدل عليه عباراتها ولا
يستطيع أن يتعلم البحث في أدلتها وتصحيح مقدماتها، وتميز صحيحها
من باطلها، وإنما يتلقاها كأنها كتاب الله أو كلام نبيه صلى الله عليه
وآله وسلم يأخذ ما فيها بالنسليم. فإذا ناظره مناظر في بعض قضاياها
وعجز من تصحيحه قطع الجدال بقوله: هكذا قالوا. وان لم يكن القول
متفقا عليه، بل قد يكون القول مما لم يقل به سوى صاحب الكتاب
الذي اشتغل به، وربما كان صاحب الكتاب ممن لو رآه أحد من السلف
لم يرضه تلميذا يعي عنه ما يقول.

as
b. n. p.

156 - 157

كاد ينقطع طالب العلوم الدينية في سورية والحجاز وتونس
والجزائر، وقل جدا في المغرب الأقصى، ولم يبق الاهتمام به الا في
بعض الصحاري، وذلك اما لصعوبة طرق التعليم، واقتضائها الزمن
الطويل - وحاجات الناس مانعة لهم من افناء أعمارهم في عمل لا يسد
من حاجتهم - واما لتفضيل الآباء تربية أبنائهم على الطرق الحديثة
في أوروبا أو في المدارس الأخرى وليس فيها من الدين شيء، وان

☆

كان فيها شيء منه فهو مما لا يعد تعليما دينيا ينظر اليه — واما للفتور
والخمود، الذي نشأ عن التقليد والجمود . وبذلك تجمد المسلمون قد
تولاهم الجهل بدينهم، وأخذتهم البدع من جميع جوانبهم، وانقطعت
الصلة الحقيقية بينهم وبين سلفهم، حتى لو عرض على الجمهور الاعظم
منهم ما اتفق عليه السلف من الاحكام لانكروه واستغربوه وعدوه
بدعة في الدين. وصح فيهم ما قال عمر الخيام في بعض أشعاره
الفارسية مخاطبا للنبي عليه الصلاة والسلام : « ان الذين جاؤا بعدك
زينوا لك دينك ووشوه وزركشوه حتى لو رأيتهم أنت لا تذكرته »
فهذا الصنف من المسلمين وهو معظمهم قد أنكر دينه الحق وعاداه
ونقم على أهله القائمين بخدمته، وانما اصطفى لاعتقاده بعض أفراد
لم يعرف عن السلف اختصاصهم بالثقة، ولم يسمح الدين باختصاصهم
بالتقليد، فاذا وقع عن هذا الصنف ما فيه أذى للعلم وأهله فهل يعد
ذلك واقعا من دين الاسلام — دين محمد صلى الله عليه وسلم —
دين اقرآن — دين السنة الثابتة — دين الخلفاء الراشدين ومن
تبعهم من السلف الاولين ؟ ؟

متابعة العلم للاسلام ومباينته لسواه :

الحق أقول والحس يؤيدني : ما عادوا العلم ولا العلم عاداهم الا
من يوم انحرفهم عن دينهم وأخذهم في الصد عن علمه ، فكلمنا بعد

عنهم علم الدين بعد عنهم علم الدنيا وحرموا ثمار العقل . وكانوا كلما
توسعوا في العلوم الدينية ، توسعوا في العلوم الكونية ، وضرر بوزمان
بسوط من العزة ، أما غيرهم فكلمما اتصلوا بالدين وجدوا في المحافظة
عليه أنكرهم العلم وتجهمهم واكفهر وجهه للقائهم . وكلما بعدوا من
الدين سالمهم العلم وبش في وجوههم ولذلك يصرحون بان العلم من
ثمار العقل والعقل لا يصح أن يكون له في الدين عمل ، ولا أن يظهر منه
فيه أثر ، والدين من وجدانات القلب ولا علاقة بين ما يجد القلب
وما يكسب العقل . فالفصل تام بين العقل والدين ولا سبيل الى
الجمع بينهما : سماحهم الله فيما يسمونه تسامحا مع العلم ، وهم يصرحون
بأنه عدوه الذي يستحيل أن يكون بينه وبينه سلم

هل عرفت السبب في اضطهاد المسلمين للعلم ؟ أقول « اضطهاد »
ولا أريد به ما كان عند الامم المسيحية من الاشداد في إبادة أهله
والتنكيل بهم ، واختراع ضروب التعذيب والتفنن في صنع الآت
الهلك ، مع الاخذ بالشبهة ، والاكتفاء في الاعدام بمجرد التهمة ،
فان ذلك لم يقع عند المسلمين لا أيام علمهم ، ولا في أزمنة جهلهم ،
ولكن أريد من الاضطهاد الاعراض عن العلم ، ورمي الالفاظ
السخيفة في وجوه أهله وقد فهم بشي من الشتائم مع الابتعاد عنهم .
لا ريب انك قد أيقنت بأن السبب في هذا الذي يسميه الاديب
اضطهاداً إنما هو جهلهم بدينهم . فالدواء الذي ينجع في شفتائهم من هذا

الداء لا يكون الا ردهم الى العلم بدينهم ، والتبصر فيه للوقوف على أسراره والوصول الى حقيقة ما يدعوا اليه . كان الدين واسطة التعارف بينهم وبين العلم ، فلما ذهبت الواسطة تناكرت النفوس وتبدل الانس وحشة

الدعاة في الاسلام :

فهل قام بينهم دعاة للعلم حقيقيون ، أو دعاة لاصل الدين عارفون ، ثم استعصت قلوب المسلمين عليهم وجمت نفوسهم عن الانقياد لهم ؟ وهل كثر اولئك الدعاة في أطراف بلاد المسلمين كثرتهم في أوروبا من أواسط القرن السابع عشر من التاريخ المسيحي (١) الى أن ظهرت قوة العلم في أوائل القرن السابع عشر وفيما بعد ذلك ؟ لا . انما رأينا من الصادقين أفرادا يظهرن متفرقين في عصور مختلفة ربما لا يجتمع أربعة منهم فما يزيد في قرن واحد ، ويأخذون في العمل لما وجهوا اليه ، ثم لا يكادون ينظنون ببعض الكلام فيحس الناس بهم فيأخذ المستعد أهفته لمفارقة ما كان عليه واتباعهم حتى تشعر السياسة (نعوذ بالله منها) بما عسى أن يكون من أمرهم فتخمد أنفاسهم ، قبل أن يبلغوا من قلب احد ما أرادوا من غرس أفكارهم ،

« ١ » كذا في الاصل المطبوع على عهد المؤلف وامله القرن الرابع عشر

فينطفئ النور، ويدلهم الديجور، فهل يعد الأديب هذه الضربات من أيدي أرباب السياسة اضطهاداً للعلم لأجل حماية الدين؟ أنزه كل أديب عن أن يظن ذلك، وإنما هي صدمات تقع على الدين لا تختلف عن أمثالها مما يصيبه منهم مباشرة، فلا تعد حجة على الدين في نظر المنصف.

المقلد دون المقلد

ربما يقول القائل: إن كان المسلمون قد أخذوا الجمود في التقليد والنفرة من العلم والاعتقاد بالعداوة بين الدنيا والآخرة وبين العقل والدين وما أشبه ذلك مما هم فيه وورثوه عن الأمم السابقة عليهم، خصوصاً أقرب الملل إليهم، فما بالهم لم يقلدوا المسيحيين في الحرص على نشر دينهم والتوسع في علومه مذيلاً بما أخذوه عنهم، ولم يقسموا أنفسهم قسمين كما قسم المسيحيون إخوانهم قسمين: قسماً ينقطع إلى الآخرة في الأديار والصوامع وقسماً يشتغل بالدنيا ليقبض نفسه ويقبض أهل القسم الأول ويحمي نفسه ويحميهم من العدوان؟ وما لك ترى المسلمين خملوا وارتخت أعصابهم وسئموا النظر في علوم دينهم كما ذكرت ثم صاروا أبعد الناس عن معرفة الطرق لتحصيل الغنى والثروة، والقبض على ناصية القوة وصولجان العزة؟ وطرحوا أنفسهم في تيار من القدر كما يقولون، يجري بهم إلى حيث

لا يعامون؟ ثم هم مع ذلك أحرص الناس على حياة، وأشدّهم لهفواً على الخطام، فلا ترى الجمهور منهم في شيء للدين ولا للدنيا فما هذا التناقض؟

فأقول له: انك قد نسيت ان المقلد يكون دائماً أخط حلالاً وأخس منزلة من المقلد. فالمقلد انما ينظر من عمل المقلد الى ظاهره ولا يدري سره ولا ما بنى عليه. فهو يعمل على غير نظام، وياخذ الامر لا على قاعدة، ولذلك سقط المسلمون في شر مما كان عليه مقلدوهم، لا سيما أنهم قد خاطوا في التقليد وأضافوا الى دينهم مالا يمكن أن يتفق معه، فصاروا في مثل حل المتخبط الذي تنازعه عدة قوى يذهب مع كل منها آناً ثم ينتهي أمره بعد الخيبة بالنعب الشديد، فيستلقي الى أن يستريح فينفض الى العمل على هدى أو يموت. لما كان المسلمون علماء كانت لهم عينان: عين تنظر الى الدنيا والاخرى تنظر الى الآخرة فلما طفقوا يقلدون أغضوا إحدى العينين، وأقذوا الاخرى بما هو اجنبي عنهم ففقدوا المطالبين، وان يجدوها إلا بفتح ما أغضوا، وتطهير ما أقذوا.

الإصلاح والمصلحون :

للقائل أن يقول: كيف تدعي أن دعاة العلم والدين قليل بين المسلمين مع أننا نسمع أصواتهم تتلاقى في جو مصر وسورية وغيرها

من البلاد في هذه الايام ؟ كل يقول : ديني ماتي : اسلام مسالمون
قرآن سنة ، مجد الاسلام القديم ، سلفه الصالحون ، تعلم تعليم ، كتب
قديمة كتب جديدة ، وما يشاكل ذلك مما يظهر منه ان الداعين
الى العلم او المنبهين الى الاخذ بأصول الدين الاسلامي كثيرون ، ولا
نرى مع ذلك من أغلب المسلمين الا آذاناً صماً وأعيناً عمياء ، وصدراً
عمياً يدعو اليه هؤلاء ؟

ويمكنني أن أقول له : ان الصادق في هؤلاء ليس بكثير عده ،
والجمهور منهم قلما يخلص قصده ، وما تجد أكثرهم الا متجرين
بهذه الكلمات ، لكسب بعض دريهمات ، ويظهر لك ذلك من
أنهم يلفظون هذا الاسماء وقلما يدرسون شيئاً من مدلولاتها ليقفوا
على الحقيقة منه ، وانما يلقف بعضهم عن بعض ظواهر كالزبد ،
لا تمكث في الارض . وأما الصادقون على قلتهم فقد بدأ بعض الناس
يسمعون ما يقولون ، ويطلبون الرشاد مما يعلمون خصوصاً في أمر
الدين والجمع بينه وبين مصالح الدنيا ، ولا سيما في بلاد الهند وبين
مسلمي روسيا . ولكن الاصلاح ليس ريحاً تهب فتمسح الارض
من الشرق الى الغرب في وقت قريب فانتظر

قد يقول القائل : لم لم يكثر هؤلاء أكثرهم بين الاوربيين
قيماً مضى حتى يغلبوا الظالمين من أهل السياسة ويستميلوا العاديين
منهم اليهم ، وينهضوا بالمسلمين من هذه الرقدة التي طال أمدها

عليهم؟ ولم لا يزال أهل البصيرة منهم قليلين متفرقين يهملون
 بالقول ولا يجهرون ، وليس للعلم فيهم دعاة عمليون ؟ أليس ذلك
 سبيلا لمؤاخذة الاسلام وحجة عليه ؟ ! وأقول له : ان حظ المسلمين
 لا يصحح أن يكون أسعد من حظ مقلديهم ، بل المنتظر أن يكون
 أتعس ، وقد أقامت المسيحية ما يزيد على الف سنة قبل أن يظهر فيها
 العلم أو تنشأ الحرية الشخصية ، أو تسري فيها الحركة العلمية ، الى
 ما فيه صلاح الجمعية الانسانية ، مع توالي المنبهات ، وتواصل الصدمات
 اثر الصدمات ، ولم يمض على المسلمين من يوم استحكت فيهم
 البدعة وأطبقت عليهم ظلم المحدثات ، ودخلوا جحر الضب الذي دخله
 من كان قبلهم الا أقل من ثمانمائة سنة ، فلم يمض عليهم وهم في بدعهم
 الجديد ذلك الزمن الذي قد يكون عمرا لمثل هذه الحالة ثم تقضي
 نجبتها في آخره . وما أظن ان يمر على المسلمين مثل تلك المدة قبل
 أن يبلغوا من صلاح الدين والدنيا ما هم أهل له

الفرق بين التعصبين :

وعلى كل حال لا يجوز في شريعة الانصاف ان يذكر المسلمون
 في جانب جمهور المسيحيين اذا ذكر الغلو في التعصب الديني فضلا
 عن أن يقال ان المسلمين أشد افراطا فيه . والشاهد يدلنا على انه
 قد يكون للمسلمين في التعصب ألفاظ وكلمات ، ولكن الذي

يكون من جمهور المسيحيين انما هو أعمال و ضربات في المعاملات ،
وما على طالب الحقيقة الا أن يسيح بفكره في المستعمرات الهولندية
في الشرق . ومثل مملكة الترنسفال قبل سقوطها و بلاد الناتال في
الجنوب ، ثم يرجع الى بعض بلاد روسيا في الشمال من قبل عشرين
سنة ثم يرجع الى الجزائر وما يليها في جهة الغرب ، ليعلم كيف تكون
الشدّة في المعاملة مع غير أهل المذاهب المسيحية ، وكيف يبلغ التعصب
من أهله حدّاً تنظر اليهم فيه الانسانية شزراً ، ولا تقبل لهم
فيه المدينة عذرا ،

ما على الباحث الا أن ينظر فيما يكتبه الكتاب الفرنسيون
ليعلم أنهم في حيرة من أمرهم مع المسلمين . يريدون أن تكون
لحكومتهم طمأنينة فيما ملكت من بلاد المسلمين ولكن حكومتهم
لا تجد السبيل اليها مع ما اتخذته قاعدة لعمالها وهو الشدة والافراط
في القسوة على المسلمين خاصة و حدهم دون سواهم ، وأرباب الاقلام
يدحشون عن تلك الطمأنينة مع المحافظة على تلك القسوة ، ويأبى الله
أن يعثرهم على ما يبشرون عنه ، لأنهم يطلبون الجمع بين الضدين في
موضوع واحد وهو محال كما يقرره فلاسفتهم

(رأي هانوتو الاخير في معاملة المسلمين)

موسيوها نوتو أطلق لقامه من سنوات أن يجري في البحث عن طريقة حكم للمسلمين، وقاعدة لمعاملتهم في البلاد التي يحكمها الفرنسيون، وجاء في فصول مقاله بما لا يزال يذكره القراء . ثم بعد ان قتل المسألة علما ثلاث سنين ، ورأى سوء تأثير قوله في المسلمين ، رجع الى موضوع البحث هذه السنة بلسان غير الذي كان ينطق به ، ورأى غير الذي كان يصدر عنه . واني ذاكر ملخص ما نقلته الجرائد من خطابه الذي ألقاه في المجمع الجغرافي في شهر مارس من هذه السنة (١٩٠٢ م) متعلقا بأفريقيا وأقتصر منه على ما يتعلق بما نحن فيه وهو بالمعنى :

« ان القواعد الجديدة التي يجب ان يكون عليها العمل في افريقية هي مخالفة للقواعد القديمة التي كانت تجري عليها السياسة الاستعمارية فيما مضى من الزمان » (أي قبل ساعة وقوف الخطيب لالقاء خطابه) ثم بين هذه القواعد الجديدة التي يعامل بها المحكومون فقال انها الامن والسلم ثم قال « اننا مدينون لهم بالعدل والسلم كما اننا مدينون لهم بالتساهل الديني ، ولست أشير الى هذا الموضوع الخطير الذي له علاقة بكل ما يثير النفس البشرية الا اشارة خفيفة فأقول : ان التمدن الاوربي يجد في طريقه في أفريقيا

لا سيما في شمالها ذلك الدين القديم العظيم الذي هو دين الاسلام ،
والذي هو في هذه الجهات (شمال أفريقيا) أكثر نشاطا منه في
غيرها . وهذا الدين يدعو الى إله واحد ويجعل الايمان بالتوحيد
مصدرا لكل الفضائل الذاتية والاجتماعية ، ويستولي على المؤمن
استيلاء شديدا فلا يعود يقدر على التفلت منه . فمن المفروض علينا
التساهل في هذا الشأن ، بل ليس التساهل بكاف وحده فمن الواجب
أن ندرس هذا الدين ونبذل جهدنا في فهمه . وعلينا أن نتخذ
الكلمة الاسلامية « لا إكراه في الدين » شعارا لا نخرج عن
حدود معناها . وان نحترم الدين الاسلامي ونحميه من كل طاريء
سوء . ولا بأس بذكر كلمة للامير عبد القادر الجزائري في هذا
المقام وهي : ان أصحاب الاديان الثلاثة يشبهون ثلاثة اخوة من
ثلاث أمهات » انتهى محصل كلام هانوتو

قبل الكلام عليه أسأل القارئ هل سمع مثل هذه الكلمة
عمن يماثل الامير عبد القادر في نسبه الى صاحب الرسالة وقامه في
أهل دينه ومكانته من سلامة العقيدة في مذهبه ؟ أو سمع ما يقرب
منها ممن لا يدانيه من أهل الملل الاخرى ؟

تري هانوتو يرشد أهله الى اتخاذ سبيل جديدة في سياسة
المسلمين وهذا الجديد هو السلم والامن والتساهل مع المسلمين في
أن يستمروا مسلمين ، واحترام حقوقهم ، وتركهم يعملون بدينهم .

وعد هذا مبدءاً جديداً لم يسبق الجري على مثله . وهل تجيب
الحكومة الفرنسية طلبه ؟ مسألة فيها نظر . فهل يليق بمنصف ان
يذكر المسلم اذا ذكر التعصب ما دام في الكون مثل هذه الدرجة منه ؟

﴿ سياسة الانجليز في التسامح ﴾

نعم نحن لانسكر ان بين الامم الاوربية امة تعرف كيف تحكم
من ليس على دينها، وتعرف كيف تحترم عقائد من تسوسهم وعوائدهم،
وهي الامة الانكليزية، فهي وحدها الامة المسيحية التي تقدر
التسامح حق قدره، ولا يصعب علينا أن نقول : ان منشأ ذلك أن
أمراءها في الحروب الصليبية وقواد جيشها كانوا من أشد الصليبيين
علاقة بسلاطان المسلمين وأمراء جيشه . وقد امتاز الانكليز في ذلك
الزمن المظلم بدرس عقائد المسلمين وعاداتهم، فحملوا من ذلك شيئاً
كثيراً الى بلادهم، ولم تحجبهم غشاوة التعصب عن إبصار ضوء الحق،
وظهر أثر ذلك في كثير من كتابهم مثل وترسكوت وشيل وغيرهما
قبل أن يظهر في أقلام الكتّاب من غير الانكليز بأزمان طويلة .
فلنا أن نقول ولا نخشى لأئماً : ان هذه الخصلة الشريفة — خصلة
إطلاق الحرب لاهل الدين يتمنعون باداء فرائضه مع احترام ما
يحترمون — هي من أجل الخصال التي ورثها غير المسلمين عن المسلمين،

وهل أجد من يأتى علي القول بأن الاسلام السليم من البدع هو استاذ الانكليز وعنه أخذوا هذه الخلة؟ الا ترى ان نظامهم في ذلك يقرب من نظام المسلمين يوم كانوا مسلمين يكتبون من الناس بالخضوع للقوانين واداء مايفرض عليهم من الضرائب، ثم يحفظون نظام العدل بينهم بقدر ما تسمح به السياسة لا يفرقون بين دين ودين؟ (١) وهكذا كان حال المسلمين وان كان ذلك على قاعدة أبر وأرحم

﴿ خاتمة ﴾

فان قال قائل أليس لهذا المقال من آخر؟ أليس في طول الكلام مجلبة الملل، وترويع الكسل،؟ قلت إني أوجه كلامي هذا الى أهل النهي الى الفهم، وأرباب الشره الى المعرفة، ولا أظن هؤلاء الا طالبين ما هو أوسع من هذا المقال وأطول منه اضعافاً مضاعفة، لان الموضوع جليل، والكلام فيه مهما كثر قليل، وأما القارىء

«١» نقول مع الاسف ان الانكليز طفقوا يرجعون القهقري في هذا الأمر وفي سائر المزايا التي فضلوا بها غيرهم من الاوربيين فقد منعوا النصارى من السودان منذ بضع سنين وهم الآن يصادرونه في بلاد اخرى، ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون...»

« ناشر الكتاب »

المملول ، فعقله مدخول ، وعزوه مفلول ، وفكره مغلول ، وهو قصير
 الهمة فيما يقصر وفيها بطول ، فلا ينظر اليه في الخطاب ، ولا يعتد
 به عند الحساب ، ومع ذلك فانا واقف عندهذا الحد وانتظر بتفصيل
 القول في مسألة امراض الاسلام واثار البدع والمحدثات فيه والعلل
 التي نشبت بالمسلمين بسببها فرصة اخرى

وقبل أن أترك القارئ أنبهه الى أن ما أجمل في هذه الفصول
 لم يقصد به الطعن في حال أحد من الناس ، ولا طائفة من الطوائف ،
 كما يعرفه القارئ نفسه من لباس المعاني وما يكسوها من الادب ،
 والتميز عن كلمة تشتم منها رائحة العيب على آخر ، وقد يعلم من هذه
 النزاهة ان هذا رأي طبيخنا لنطعمه بأنفسنا ، وننفق منه على من
 تلزمنا نفقته من أهائنا ، ولم يكن يخطر ببالنا عند ما أجدنا طبيخنا ان نفيض
 منه على غيرنا ، لكن اذا عشا الساري الى ضوء نارنا ، وطاب القرى
 منا ، قاسمناه ما لدينا ، وعرضنا عليه أحر من نفس الحياة ، وأهناً
 من خالق الالانة ، ان شاء الله ، اه

﴿ تم الكتاب ﴾

﴿ تنبيه ﴾ قد رأينا أن نزيد في هذه الطبعة رد الاستاذ
 الامام رحمه الله على مجلة الجامعة فيما كانت كتبتة في فاسفة ابن رشد
 ونشر في المجلد الخامس من المنار مع مقدمة المنار له وهو ما تراه
 فيما يلي

﴿ الفيلسوف أبو الوليد محمد بن رشد ﴾

﴿ قاضي القضاة في الاندلس ﴾ *

هذا الفيلسوف أشهر فلاسفة المسلمين، وأكبر أساتذة أوربا في العلم والفلسفة. لان فلسفته انتقلت من الاندلس (اسبانيا) الى سائر بلاد أوربا فكانت مبدأ نهضة الاوربيين الحاضرة. ولد سنة ٥٢٠ في قرطبة. وتوفي سنة ٥٩٥ في بلاد المغرب

وقد نشرت مجلة الجامعة الغراء تاريخه، وتكلمت عن فلسفته، واستطردت الى مسائل أخرى كذهب المتكلمين في الوجود والمقابلة بين الاسلام والنصرانية في اضطهاد العلم والفلسفة وعدمه. وقد وقع في تلك الترجمة غلط في هذه المسائل. والانسان دائما عرضة للخطأ والغلط فيما تعلمه وأتقنه. فكيف يكون حاله فيما لم يتعلمه بالتلقي عن أهله اذا تكلم أو كتب فيه؟. وان صاحب الجامعة الفاضل لم يتعلم علم الكلام الذي هو فلسفة العقائد الاسلامية لانه ليس مسلماً، ولا فلسفة اليونانيين لانها قد نسخت بالفلسفة العصرية، فلا شك عندنا انه لم يتعمد تكفير القاضي ابن رشد ولا نسبة أئمة المسلمين في العقائد الى انكار ارتباط الاسباب بالمسببات. ولكن بعض الذين قرأوا تلك الترجمة في مجلته أساءوا الظن به، واحتموا عليه

(* منقول من الجزء العاشر من المجلد الخامس)

ورغبوا اليينا في الرد عليه ، لان من وظيفة المنار الدفاع عن العقائد
الاسلامية وعن أئمة المسلمين

وطلب بعضهم مثل ذلك من بعض أساتذتنا الاعلام ، الذين
يرجع اليهم اذا اعتكر من ليل الشبهات الظلام. ولما رأينا ذلك الاستاذ
وعد الطالبين بأن يكتب في بيان حقيقة تلك المسائل التي وقع فيها
الخطأ أمسكنا نحن عن الكتابة، لانه هو الاجدر بالفصل بين الحق
والباطل ، والذي اذا قال لم يترك مجالاً لقائل ، وقد تفضل علينا وعلى
لجامعة بما كتب فنشر في هذا الجزء مقالته في فلسفة ابن رشد
ومذهب المتكلمين وسنشر في الاجزاء التالية مقالاته في « الاضطهاد
في النصرانية والاسلام » *

تمهيد لمقالة الاستاذ الحكيم :

لا بد لفهم قراء المنار هذه المقالة من ذكر مقالته الجامعة في
فلسفة ابن رشد لان كاتب المقالة لم يذكر فيها الا مواضع النقد
قالت الجامعة :

﴿ المادة وخلق العالم ﴾

« ان اعظم المسائل التي شغلت حكيم قرطبة مسألة أصل

﴿ هو الذي سميناه « الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية »

الكائنات وهو يرى في ذلك رأي اريسطو فيقول : ان كل فعل يفضي الى خلق شيء ، انما هو عبارة عن حركة والحركة تقتضي شيئاً لتحركه ويتم فيه بواسطتها فعل الخلق وهذا الشيء هو في رأيه المادة الاصلية التي صنعت الكائنات منها . ولكن ماهي هذه المادة؟ هي شيء قابل للانفعال ولا حد له ولا اسم ولا وصف . بل هي ضرب من الافتراض لا بد منه ولا غنى عنه . وبناء عليه يكون كل جسم ابداعاً بسبب مادته ، أي إنه لا يتلاشى ابدأً لان مادته لا تتلاشى ابدأً و كل أمر يمكن انتقاله من حيز القوة الى حيز الفعل لا بد له من هذا الانتقال والاحداث فراغ ووقوف في الكون ، وعلى ذلك تكون الحركة مستمرة في العالم ولولا هذه الحركة المستمرة لما حدثت التحولات المتتالية الواجبة لخالق العالم بل لما حدث شيء قط . وبناء عليه فالعامل الاول الذي هو مصدر القوة والفعل (أي الخالق سبحانه وتعالى) يكون غير مختار في فعله لان الحرية والاختيار يقتضيان كونه محدثاً والخالق تنزه عن ان يكون حديثاً

﴿ اتصال الكون بالخالق ﴾

« هذا فيما يختص بخلق العالم وهو مذهب قريب جداً من مذاهب الماديين كما ترى ، ولكن كيف يستولي العامل الاول على الكون ويدبره

« لا بن رشد في ذلك تمثيل يدل على حقيقة مذهبه في هذه المسألة الخطيرة ، فانه يشبه حكومة الكون أي تدبيره بحكومة المدينة فانه كما ان كل شؤون المدينة تتفرق وتتجه الى نقطة واحدة وهي نقطة الحاكم العام فيها . فيكون هذا الحاكم مصدراً لكل شؤون الحكم ولو لم تكن له يد في كل شأن من هذه الشؤون — كذلك الخالق في الاكون فانه نقطة دائرتها ، ومصدر القوات التي تدبرها . وان لم يكن له دخل مباشرة في كل جزء من هذه القوات ، فبناء على ذلك لا يكون للكون « اتصال » بالخالق مباشرة ، وانما هذا الاتصال يكون للعقل الاول وحده . وهذا العقل الاول هو عبارة عن المصدر الذي تصدر عنه القوة للكواكب ، وعلى ذلك فالسما في رأي فيلسوف قرطبة كون حي بل أشرف الاحياء والكائنات ، وهي مؤلفة في رأيه من عدة دوائر يعتبرها أعضاء أصلية للحياة . والنجوم والكواكب تدور في هذه الدوائر ، أما العقل الاول الذي منه قوتها وحياتها فهو في قلب هذه الدوائر ، ولكل دائرة منها عقل أي قوة تعرف بها طريقها ، كما أن للانسان عقلا يعرف به طريقه . وهذه العقول الكثيرة المرتبطة بعضها ببعض والتي يلي بعضها بعضاً محكومة بعضها ببعض انما هي عبارة عن سلسلة من مصادر القوة التي تحدث الحركة من الطبقة الاولى في السماء الى أرضنا هذه ، وهي عالمة بنفسها وبما يجري في الدوائر السفلى البعيدة عنها ، وبناءً على ذلك

يكون للعقل الاول الذي هو مصدر كل هذه الحركات علم بكل ما يحدث في العالم.

﴿ طريق الاتصال ﴾

« وان قيل ماهي علاقة الانسان بالخالق ؟ فالجواب عن ذلك يأخذه ابن رشد أيضا عن ارسطو من الفصل الثالث من كتابه « النفس » وخلاصة ذلك ان في الكون عقلا فاعلا ، وعقلا منفصلا. فالعقل الفاعل هو عقل عام مستقل عن جسم الانسان وغير قابل للامتزاج بالمادة. وأما العقل المنفعل فهو عقل خاص قابل للفناء والتلاشي مثل باقي قوى النفس. وانما يقع العلم والمعرفة باتحاد هذين العقلين ، ذلك أن العقل المنفعل يميل دائما للاتحاد بالعقل الفاعل كما أن القوة تقتضي مادة تنفذ فيها، والمادة تقتضي شكلا توضع به. وأول نتيجة تحصل من هذا الاتحاد تدعى العقل المكتسب ولكن قد تتحد النفس البشرية بالعقل العام اتحادا أشد من هذا فيكون هذا الاتحاد عبارة عن امتزاجها جد الامتزاج بالعقل القديم الازلي ولا يتم هذا الاتحاد بالعقل الا كتسابي الذي تقدم ذكره فانما وظيفة العقل الا كتسابي ايصاله الى حرم الخالق الازلي دون أن يدغمه به ، وأما ادغامه واتصاله به فذلك أمر لا يتم الا بطريق « العلم »

فالعلم إذاً هو سبب « الاتصال » بين الخالق والمخلوق ولا طريق غير هذا الطريق. ومتى اتصل الانسان بالله صار مثله عارفاً بكل شيء في الكون ولم يعد يفقه شيء، ولكن كيف يتصل الانسان بالله؟ « يتصل به بان ينقطع الى الدرس والبحث والتنقيب، وينخرق بنظره حجب الاسرار التي تكتمف الكون فانه متى خرق هذا الحجاب ووقف على كنه الامور وجد نفسه وجهاً لوجه أمام الحقيقة الابدية

» أما المتصوفة فانهم يقولون: ان هذا « الاتصال » يتم بواسطة الصلاة والتأمل والتجرد وليس العلم ضرورياً له « وبناء على ذلك تكون فلسفة صاحب الترجمة عبارة عن مذهب مادي قاعدته العلم. والكون في رأيه كما مر بك انما صنع بقوة مباديء قديمة مستقلة محكومة بعضها ببعض وكلها مرتبطة ارتباطاً مبهماً بقوة عليا، ومن هذه المباديء شيء يستولي على العالم ويضع فيه العقل فهو عقل الانسانية. وهذا الشيء الذي يسميه عقلاً أيضاً هو عقل ثابت لا يتغير، أي إنه لا يتقدم ولا يتأخر، لا يزيد ولا ينقص. والناس يشتركون فيه ويستمدون منه بكميات متباينة. على أن من كان منهم أكثر استمداداً منه كان أقرب الى الكمال والسعادة»

﴿الخلود﴾

ثم تكلمت الجامعة بعد ما تقدم عن رأي ابن رشد في خلود النفس فقالت بعد كلام ما نصه: « قال إن العقل الفاعل العام الذي تقدم ذكره من صفاته انه مستقل ومنفصل عن المادة وغيرها غير قابل للفناء والملاشاة، والعقل الخاص المنفعل من صفاته الفناء مع جسم الانسان، و بناء عليه يكون العقل العام الفاعل خالداً، والعقل المنفعل فانياً، ولكن ماهو العقل الفاعل العام الذي هو خالد في رأي ابن رشد؟ ان هذا العقل الخالد هو العقل المشترك بين الانسانية فالانسانية اذاً هي خالدة وحدها دون سواها، وبناء على ذلك لا يكون بعد الموت حياة فردية ولا شيء مما يقوله العامة عن الحياة الثانية» أه كلام فرح افندي انطون في الجامعة

﴿دفع وهم عن فلسفة ابن رشد والمتكلمين﴾

(لاستاذ حكيم، وفليسوف عليم) (١)

قرأت ما نشرت الجامعة من ترجمة ابن رشد. مرتت على

«١» هو الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده لم نصرح باسمه وقتئذ
ولكن عرفه كل من قرأ الرد

حانقلت من آراء المشككين وآرائه بغير تدقيق لاني أعرف آراء
 الفريقين من قبل، ولم يكن لي قصد الى النقد، وإنما أريد أن استفيد
 جديدا . لهذا لم يقف نظري لاول وهلة الا على ما حوته تلك الجملة
 (الاضطهاد في النصرانية والاسلام) قرأتها بتر وانهيت منها الى
 حكم من الجامعة يخالف ما أعتقد ولا يلتئم مع ما أعرف ويعرف
 العارفون من الشواهد التاريخية . عند ذلك تحركت نفسي الى
 كتابة سطور ، أشير فيها الى كشف مستور ، أو اعادة ذكر مشهور
 على اسماع الجمهور

لا قاني بعض قراء تلك الترجمة فرأيت الاثر في نفسه أشد ،
 ولسانه في العتب أحد . وذكرا أشياء في غير هذا الفصل من
 الترجمة ولفنتني الى اعادة النظر فيها . رجعت الى الترجمة فوجدت
 فيها موضعين آخرين يطلبان مني الكلام عليهما ، وبأن أحداث
 الجامعة فيهما ، لو كانت منزلة الجامعة من نفسي منزلة غيرها من
 المجالات التي لا يعنى كاتبوها الا بنقل ما يقع تحت أنظارهم ، أو
 تحبير ما يعبر عن أهوائهم وأفكارهم ، من دون عناية بتقرير الحقيقة
 ولا رعاية لمعتقدات القراء — لوجدت من شواغل عملي ما يصرقي
 عن ذكر ما عرض فيها ، لكنها من المجالات التي لو أهملت مباحثها
 من إنعام النظر وجعلتها في جانب عما تستحقه من النقد لبخستها
 حقها ، ونبوت بها عن موضعها ،

لهذا رأيت أن أذكر لها ما رأيت في ذينك الموضوعين وأبين حقيقة الامر في الثالث . أما الموضوعان فهما (فلسفة المتكلمين وآراؤهم في الوجود) و (فلسفة ابن رشد وآراؤه في خلق العالم واتصال الكون بالخالق وطريق اتصال الانسان به والخلود) وهما موضوع كلامي اليوم ﴿ فلسفة المتكلمين وآراؤهم في الوجود ﴾

قالت الجامعة : « فلسفة المتكلمين هذه (أي في وجود العالم) مبنية على أمرين ، الاول حدوث المادة في الكون أي وجودها بمخلق خالق ، والثاني وجود خالق مطلق التصرف في الكون ومنفصل عنه ومدبر له ، وبما أن الخالق مطلق التصرف في كونه فلا تسأل اذا عن السبب اذا حدث في الكون شيء لان الخالق نفسه هو السبب وليس من سبب سواه . اذا فلا يازم عن ذلك قطعياً أن يكون بين حوادث الكون روابط وعلائق كأن ينتج بعضها عن بعض لان هذه الحوادث تحدث بأمر الخالق وحده . وفي الامكان ان يكون العالم بصورة غير الصورة المصور بها الآن وذلك بقدره هذا الخالق » ثم ذكرت في الجملة التي تلي ما تقدم أن أن هذه فوضى وأن روحاً جديداً أخذ يدخل شيئاً من النظام فيها (١)

(١) ذكرت الجامعة الغراء ان منبع هذا الروح النظامي في مجلة المنار واستشهدت لذلك بالتفسير الذي تقدمه من دروس الاستاذ الامام كبير رجال النهضة الاسلامية الحاضرة

حدوث المادة عند المتكلمين ليس معناه أن تكون بخالق خالق
فإن الخالق في اصطلاحهم هو اليجاد وكون المادة صادرة عن موجد
لم يختلف فيه المتكلم والفيلسوف الالهي . فأرسطو يقول ان المادة
قد استمدت وجودها من موجدها وهو الواجب . وواسطة فيض
الوجود عليها هو العقل انفعال على ماسيأتي بيانه وان كان لا أول
لوجودها . وانما حدوث المادة عند المتكلمين هو وجود الاجسام
وعوارضها بعد أن لم تكن موجودة بحيث يفرض لوجودها بداية
زمانية تنتهي اليها سلسلتها من جانب الماضي . ولا يجوز أن يوصف
بالازلية الا الله وحده وصفاته عند القائلين بأنها وجودية ، وقبل
هذه البداية التي لا يمكن تحديدها لم يكن وجود سوى وجود خالق
الكون، ثم إنه أراد ايجاد الكون فأوجده من العدم البحت . هذا
هو بناء مذهب المتكلمين وهو مذهب أهل النظر من المسيحيين
واليهود أيضا فلم يخالف فيه ملي من أهل الملل الثلاث
أما كون هذا المذهب وحده هو الذي يصح أخذه من القرآن
أو أنه يجوز أن يتفق مع معاني القرآن رأي آخر بل هو الذي يظهر
منه فذلك بحث آخر لسنا بصدد الان فان كلامنا في تصوير
مذهب المتكلمين .

الاصل الثاني — وهو وجود خالق مطلق التصرف — لازم
للاصل الاول، لان هذا العالم اذا كان موجوداً بفعل موجد. فموجد

هو خالقه وهو مطلق التصرف بمعنى أنه يختار ما يخلق على الوجه الذي يخلق . والمتكلمون وان اتفقوا على أن خالق العالم مختار انقسموا الى فريقين عظيمين، فالقدريه منهم ويسمون بالمعتزلة أيضا قالوا: ان الخالق وضع للكون نظاما تنطبق أصوله على مصالح المخلوقين وادع في المخلوقين قوى أو قدر تصدر عنها آثارها بطريق التوليد والسببية، أو بطريق الارادة والاختيار . فهذا فريق من المتكلمين لا يخالف الفلاسفة في قولهم بلزوم الآثار لمصادرهما، أو تأثير قدر المخلوقين في أفعالهم . وقد بقي من أهل هذا المذهب الى اليوم طائفة الشيعة الامامية والزيدية فانهم لا يخالفون المعتزلة في هذه الاصول . فاذا حدث في الكون حادث سأل صاحب هذا المذهب عن سببه المباشر له، وان كانت جميع الاسباب تنتهي الى مصدرها الاول وهو الخالق كما يسأل الفيلسوف بلا فرق .

والفريق الآخر الذي عنته الجامعة وهو الذي يرى اسناد الآثار الى الخالق مباشرة لم يقطع العلاقة بين الاسباب الظاهرة ومسبباتها، بل قال ان الله يصدر وجود السبب عند وجود السبب . فلا يقل ان الاكل (مثلا) هو الذي يحدث الشبع بل الشبع شيء يحدثه الله عند الاكل واكثه لا يحدثه عند الخوى، لا اذا أراد أن يخرق النظام الذي جرت به سنته لا امر عظيم يريد توجيه النفوس اليه . وحمل هذا الفريق على هذا القول انكاره نسبة اليجاد ومنح الوجود

الى شيء سوى واجب الوجود . وقالوا في الافعال الاختيارية: ان الله يوجد لها عند تعلق كسب العبد بها ولهم في تصوير معنى الكسب كلام طويل لا يليق بهذا المقال استيفاءه . وقالوا ان الاسباب والآلات لا بد منها في صدور الاثر ، الا أن الذي يعطيه الوجود عند استكمالها هو الخالق . ولهذا اتفق جميع المتكلمين على أن التكليف بالاحكام الشرعية يعتمد التمكن من الاتيان بالمكف به من حيث حال المكف ، وصرحوا بأنه لم يقع تكليف بشيء الا اذا تيسرت أسبابه وارتفعت الموانع منه . غير أنهم يلقبون هذه الاسباب بالعادة لانه ليس من الواجب على الخالق أن يلتزمها ، مع اعتقادهم بأنه قررهما وجرت سنته بها . واقتبوا ما يحدث في العالم مخالفا لها بخارق العادة . وليس كل غريب عندهم خارقا للعادة ، بل الخارق هو ما لا يدخل في مكنة قوة حادثة ولا يقدر على احداثه الا القادر على مخالفة النظام الذي سنه وهو الله

هذا الفريق من المتكلمين يستند في اثبات صفة العلم لله تعالى الى ما في هذا العالم من النظام والى ما حواه ذلك النظام من الاسرار والحكم . وهل يتأتى هذا الاستناد منهم ان لم يقولوا بوجود العلاقة بين الاسباب ومسبباتها ؟ كان من هذا الفريق أئمة تناول بحشمتهم كثيرا من الفنون كالطب وعلوم الموايد الثلاث - الحيوان والنبات والمعدن - منهم الأئمة الرازيون كفخر الدين الرازي وأبي بكر الرازي ومحمود

الرازي وأمثالهم . ومنهم الامام أبو بكر الباقلاني . وكيف يتيسر لقائل
انه لا علاقة بين الاسباب والمسببات ان يبرع في فنون بناؤها على
الارتباط بين الآثار وما يقارنها في العادة مما هو مصدر لها في بادىء النظر .
فاذا حدث في الكون حادث سأل صاحب هذا المذهب عن
سببه الذي جرت سنة الله بأن يكون معه . وان شئت قلت سأل
عن السبب الذي أصدر الله وجوده عنده . وهل يمكن أن يقول
المتكلم إنه لا علاقة بين الولد وبين وجود والديه ، او بين جودة العمل
وعلم العامل ، أو بين غزارة الثمر ، وخدمة الشجر ؟ هذا شيء لم يقل به
قائل منهم قط والا لما قرأ واحد منهم كتابا ولا خط في صحيفة
سطرا لانه لا علاقة بين المطالمة والفهم ولا بين التحريير والافهام
فان شئت أن تقول انه مذهب مع ذلك غامض يكد الذهن في
فهمه فلك أن تقول ، وأن تنعم النظر حتى تفهم مبانيه وأصوله وأن
تناقش بالدليل الدليل . وعلى الله قصد السبيل .

القول بنفي الرابطة بين الاسباب ومسبباتها جدير بأهل دين
ورد في كتابه ان الايمان وحده كاف في ان يكون للمؤمن أن
يقول للجبل تحول عن مكانك فيتحول الجبل (١) يليق بأهل دين

(١) المنار — يشير الى ما جاء في انجيل لوقا من الباب ١١ : ٢٣ لا تي
الحق أقول لكم ان من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر ولا
يشك في قلبه بل يؤمن ان ما يقوله يكون فهما قال يكون له ٢٤ لذلك
أقول لكم كلما تطلبونه حينما تصلون فامنوا ان تنالوه فيكون لكم

يعد الصلاة وحدها اذا اخلص المصلي فيها كافية في إقداره على تغيير سير الكواكب، وقلب نظام العالم العنصري . وليس هذا الدين هو دين الاسلام . دين الاسلام هو الذي جاء في كتابه (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم — الآية — وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) الخ (سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) وأمثالها (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار) الآيات . فلا يمكن لاهل هذا الدين وهو هو أن يقطعوا كل علاقة بين الاسباب في هذا العالم والمسببات . ولهم أن يتيهوا على أرباب ذلك الدين الآخر بأن دينهم لم يوضع أساسه على دعث من الخوارق لا يلبث أن يخسف بالسالك فيه اذا سال عليه سبيل الدليل ، وانما وضع على مستقر من الحقائق لا يتزلزل بالقائم عليه مهما عظم القال والقال ، وليس من الممكن لمسلم أن يذهب الى ارتفاع ما بين حوادث الكون من الترتيب في السببية والمسببية الا اذا كفر بدينه قبل ان يكفر بعقله

نعم طراً فساد على عقائد بعض المنتسبين الى أئمة ذلك المذهب وأسأوا الظن بالقدر وتظاهروا بترك الاسباب في أقوالهم ، وان كانوا أشد الناس تمسكاً بها في ردائل أعمالهم ، وتعلقوا من الخوارق بجبل واهن ميلا الى أهواء من جاورهم من الملل . فظن الناظرون

في قذائف أفواههم ، أن هذه الاوهام مما بني عليه اعتقاد اسلافهم ،
فلا يغترون بعد ذلك مغتر بما يظن أولئك الناظرون ، ولا بما يتوهمه
هؤلاء الواهمون ، (سيحان ربك رب العزة عما يصفون) .
هذا ما يتعلق برأي الجامعة في مذهب المتكلمين أو فلاسفتهم
وننقل الآن الى روايتها مذهب الفيلسوف ورأيها فيه

﴿ فلسفة ابن رشد ورأيه في المادة وخلق العالم ﴾

المادة وخلق العالم

قالت الجامعة : ان المادة « ضرب من الافتراض لا بد منه »
الافتراض يراد به عند الاطلاق الفرض وهو في اصطلاح الفلاسفة
مالا وجود له ، والمادة عندهم موجودة كما قالت الجامعة فيما قبل ذلك
التعريف وفيما بعده

تم قالت : « وبناء عليه فالعامل الاول الذي هو مصدر القوة
والفعل (أي الخالق سبحانه وتعالى) يكون غير مختار في فعله لان
الحرية والاختيار يقتضيان كونه محدثا والخالق ينزه عن أن يكون
حديثا » . وقالت بعد هذا بسطرين : « وهو (أي مذهب ابن
رشد) مذهب قريب جدا من مذاهب الماديين كما ترى » ثم ذكرت
ان الفيلسوف يشبه حكومة الكون بحكومة المدينة وأن المباشر
للتصرف في الكون هو العقل الاول وحده وأن السماء كون حي

مركب من عدة دوائر والعقل الاول في قلب هذه الدوائر ولكل دائرة عقل أي قوة تعرف بها طريقها» الخ
 أما مسألة نفي الاختيار فقد ذكرت على ابهامها وأدى ذكرها كذلك إلى استنتاج ان مذهب ابن رشد قريب من مذهب الماديين وليس الامر في حقيقته كذلك
 يعلم كل ناظر في مذاهب فلاسفة اليونان أنهم كانوا فريقين إلهيين وماديين، والاولون فريقان مشاؤون وإشراقيون، واشتهر أتباع ارسطو باسم المشائين، وأتباع أفلاطون باسم الاشراقيين
 وأول مميز للالهيين عن الماديين ان الاولين يقولون بوجود واجب بريء من المادة والماديات، وبوجود عقول مجردة عن المادة وغواشيها، وبأن للواجب علما بذاته وبجميع ما يصدر عنه وعن آثاره، وان للعقول المجردة عقلا وعلما بذواتها وبمبدئها وبما يصدر عنها .
 والماديون لا يقولون بشيء من ذلك البتة. فالتقريب بينهما تقريبا بين النقيضين. وابن رشد من مقرري مذهب ارسطو فهو من الالهيين
 وتشبيه الفيلسوف لتدبير السكون بتدبير المدينة أكبر دليل على مفارقة الماديين كما يفارق المجرد المادة . وقد شرطوا في هذا التشبيه أن المدبر خارج عن المدبر مفارق له ، منزه عن مخالطته
 وأما العقل الاول فليس كما تقول الجامعة . فان العقل الاول جوهر مجرد عن المادة وهو أول صادر عن الواجب وقد صدر عنه

الفلك التاسع المسمى عندهم بالفلك الاطلس ، ونفس لذلك الفلك تدبر حركانه الجزئية، وعقل آخر هو العقل الثاني، وعن هذا الثاني صدر الفلك الثامن المسمى عندهم بالعقل الفعال أو العقل الفياض، وعن هذا العقل صدرت المادة العنصرية واليه يرجع ما يحدث في عالمها . ولا يكون العقل الاول ولا غيره من العقول في قالب تلك الدوائر عند أحد من هؤلاء الفلاسفة الالهيين بل هو مفارق لها، كما أن نفوسها جواهر مفارقة أيضا، ولها تعلق باجسادها كتعلق أنفسنا بأبداننا على ما سيأتي بيانه

والذي حمل الالهيين على ذلك مبالغتهم في تنزيه الواجب وقولهم: انه واحد من جميع الوجوه، وزعمهم ان الواحد من كل وجه لا يصدر عنه الا الواحد، فيلزم ان لا يصدر عن الواجب الا واحد وهو العقل الاول . ولما تعددت وجوه العقل في ذاته والنسبة بينه وبين مصدره وعقله لذاته وعقله لموجده صح ان يصدر عنه متعدد . ولهم في الاستدلال على حياة الافلاك مقدمات لا حاجة الى ذكرها لان الكلام في تصوير مذهبهم لا في تقريره أو إبطاله

فالعقول عند الفيلسوف ليست مخالطة للمادة ولا يغشاها شيء من ظلماتها، وليس العقل الاول بمدبر الكون وإنما هو مصدر الفلك الاطلس، ومفيض نفسه عليه وخزانة معقولاته . وهكذا الامر في كل عقل مع الفلك الذي صدر عنه . وتدبير العالم العنصري وهو مادون

فلك القمر راجع الى العقل العاشر وهو العقل الفعال
قال الفلاسفة الالهيين : ولا يجوز أن تكون لافعال الله غايات
واغراض تبعثه على اصدارها، وان ما يصدر عنه انما يفيض بمحض
الوجود المطلق عن غنى مطلق. وقد صرح ابن رشد في تهذيبه
لالهيات ارسطو بذلك ، وهذا مبالغة منهم في نسبة الكمال الى
الله، على ان ما يصدر عنه انما يصدر عن علم ، فالذي ينفي عنه انما
هو الاختيار بمعنى التردد بين الغايات ثم ترجيح احداها، واما الاختيار
بمعنى ان الفعل صدر عن علم العالم بدون اكرامه عليه فذلك لا ينفيه
احد منهم ، والمليون من متكلميهم ولا هو تبيين وان لم يصرحوا بذلك
قالوا بما يؤول اليه والتموه ، فقد ذهب جمهورهم والمعول على رأيه
عند قومه منهم أن علم الله محيط بالكليات والجزئيات أزلا وأبدأ. وقد
تعلمت ارادته بتخصيص كل كائن بما هو عليه على حسب علمه ،
وعلمه لازم لذاته أزلي بأزلية ذاته، وكل ما يكون في الكون لا بد أن
يقع على وفق مع علمه الأزلي جل شأنه فلا تردد عنده بين الغايات
بل ما يصدر عنه اليوم كان لا بد أن يصدر عنه، والاسباب والمسببات
وارتباط بعضها ببعض مما انتظم في علمه فهي تصدر عنه على حسب
ترتيبها في العلم، وسواء كان هذا القول غامضا أو غير غامض، وسواء توجه
عليه من النقد ما يصعب الجواب عنه اذا روعيت بقية الاصول أو
لم يتوجه. كل ذلك لا يدفع عنهم أنهم قالوا بنفي الاختيار بالمعنى

المعروف عند الناس، وان ثبت الاختيار بالمعنى الذي يليق بكمال الله تعالى، فالفلاسفة وجمهور المتكلمين واللاهوتيين على وفاق في حقيقة المسألة وان اختلفت العبارات، فابن رشد رحمه الله لم يخرج في آرائه عن المليون، فلا يصح أن يكون مذهبه مذهب الماديين ولا قرييافته

﴿ طريق الاتصال ﴾

يتوهم الناظر في هذا العنوان في الجامعة مع مراعاة الفصل الذي تقدمه فيها انه عنوان لرأي ابن رشد في طريق اتصال الكون بالخالق، فاذا استمر في قراءة ما بعد العنوان الى آخر الفصل علم أن المراد طريق اتصال الانسان وحده بخالقه وعثر في آخر البحث على هذه العبارة: « و بناء على ذلك تكون فلسفة صاحب الترجمة عبارة عن مذهب مادي قاعدته العلم » وأما ما بين العنوان وهذه العبارة فهو مما لا يمكن ان يتحصل له معنى مفهوم في مذهب الفيلسوف، واني ذا كر لك رأيه في اتصال الانسان بالله أي قربه منه وسعادته به وفي طريقة تكميله لنفسه حتى يستعد لذلك القرب وبذلك تعرف ان ماجاء في الجامعة ليس بالذي تصح نسبته اليه خصوصا بعد قولها انه أخذ مذهبه في ذلك عن ارسطو من الفصل الثالث من كتابه (النفس) وما قاله ارسطو في ذلك الكتاب معروف مشهور أثبت ارسطو وتبعه ابن رشد وجل فلاسفة الاسلام أن نفس

الانسان التي هو بها انسان - وهي ما يقبونها بالنفس الناطقة -
جوهر مجرد عن المادة لا هو جسم ولا حال في جسم وإنما له علاقة
بالجسم بدبره ويصرفه، وشبهوا هذه العلاقة بعلاقة الملك بالمدينة
وهو خارج عنها ولهذا النفس آلة في الجسم بها يكون التدبير
وقالوا ان انطباع المحسوسات والمعاني الجزئية في لحواس الظاهرة
والباطنة على ما فصلوه يعد النفس لقبول الكليات، ويهيئها لتلقي
المعقولات عن مفيضها عليها وهو العقل الفعال الذي سبق لنا ذكره
وجعلوا مراتب النفس في استحصائها كلها العلمي وبلوغها
خزوته أربعاً (الاولى) العقل الهولاني وهو قوة استعداد النفس
نحو المعقولات وتسميته عقلاً تسمية مجازية (الثانية) العقل بالملكة
وهي القوة التي تحصل للنفس عند حصول المعقولات الاولى مثل
الجزء والكل ومثل الحكم بأن الاول أصغر من الثاني، ومثل النفي
والاثبات والحكم بانهما لا يجتمعان في محمول واحد لموضوع واحد،
وكذلك كل ما خلاص من محسوس وهو لا يحتاج في تخليصه إلى فكر،
والنفس تنهياً بهذه القوة لا كتساب المعقولات الثانية إما بالفكر
وأما بالحدس، وليس الحدس هو الظن كما هو في المشهور بل هو سرعة
انتقال النفس من المبادئ إلى المطالب أو انتقال النفس من
المعلوم إلى الوسط الذي يصل بينهما ومن ذلك إلى معلوم ثالث
بلا تجشم نظر، ولذلك جعل مقابلاً للفكر الذي هو النظر بعينه،

(الثالثة) قوة تسمى العقل المستفاد وهي ان تحصل المعقولات الثانية
 بالعقل متمثلة كالاولى مشاهدة في الذهن ، (الرابعة) قوة تسمى
 «العقل بالفعل» وهي ما به تتمكن النفس من استحضار المعقول
 المكتسب المفروغ منه متى شاءت من غير افتقار الى اكتساب
 قالوا والذي يرقى بالنفس في هذه المراقي هو العقل الفعال وهو
 ذلك العقل العاشر المصروف للمادة العنصرية لا عقل الانسانية العام
 كما تقول الجامعة فان أرسطو وابن رشد لا يقولان بعقل يسمى عقل
 الانسانية العام بل كان ذلك من مزاعم أفلاطون التي عني أرسطو
 بابطالها، وتبعه ابن رشد وغيره في نفيها ، فالعقل الفعال هو الذي
 يخرج النفس من العقل الهولاني الى العقل بالملكة، ومن العقل
 بالملكة الى العقل المستفاد ومنه الى العقل بالفعل

ولما كان العقل الفعال جوهرًا عقليًا بالفعل كانت المعقولات
 بأسرها حاصلة له بالفعل، وأما نفوسنا فهي عقول بالقوة ولكنها اذا
 استعدت استعدادًا خاصًا للاتصال بذلك العقل أي بالاقبال عليه
 وتوجيه وجهتها نحوه ارتسم منه فيها الصور العقلية الخاصة بذلك
 الاستعداد الخاص لاحكام خاصة ، وادراك المعاني الجزئية بواسطة
 الحواس وحرارة النفس في المعقولات الاولى والبحث والتجربة
 والدرس وما ينحو هذا النحو كل ذلك من محصلات الاستعداد
 لقبول المعقولات في الموضوعات التي كان الاستعداد فيها فاذا عرضت

النفس عن العقل الفعال والنفقت الى جانب الحس أو الى صورة
 أخرى غير التي حصلت لها بذلك الاستعداد انمحي المتمثل الذي
 كان أولا ، كأن المرآة التي كان يحاذي بها جانب القدس ، قد أعرض
 بها عنه الى جانب الحس ، أو الى شيء آخر من الامور القدسية
 قالوا وهذا الاتصال الذي يفيض به العقل الفعال على النفس
 ما استعدت له من المعقولات له علة ، وعلمته قوة بعيدة هي العقل
 الهولاني وقوة كاسبة هي العقل بالملكة ، وقوة تامة الاستعداد لها
 أن تقبل بالنفس جهة الاشراف متى شاءت بملكة متمكنة وهي
 المسماة بالعقل بالفعل

ثم إن الفيلسوف وأتباع مذهب أرسطو ذكروا آراء بعض
 الفلاسفة ممن لا يعتمد بقولهم وفيها ما يشبه ما نسبته الجامعة لابن
 رشد . منها أن الجوهر العاقل اذا عقل صورة عقلية صار هو اياها .
 واستدلوا على استحالة هذا القول بأنه يلزم عليه أن تصير النفس جميع
 المعقولات التي تحصل لها وتصير المعقولات كلها معقولا واحدا ، بل
 يلزم عليه انعدام النفس ووجود ما عقلمته أو استحالة النفس اليه وهو
 محال وخلاف الفرض . ونقلوا عن (فرفور يوس) أنه قال : ان النفس
 الناطقة اذا عقلمت شيئا فانما تعقل ذلك الشيء باتصالها بالعقل الفعال ،
 وهو حق في رأيهم ، ولكن قال : ان معنى اتصالها بالعقل الفعال أن
 تصير هي نفس العقل الفعال لا انها تصير العقل المستفاد . والعقل

الفعال يتصل نفسه بالنفس فيكون العقل المستفاد . وقد أبطوا هذا القول بأنه يستلزم أن يكون العقل الفعال متجزئاً قد يتصل منه شيء دون شيء - وهو مجرد لا يتجزأ - أو تتصل به النفس اتصالاً واحداً تكون به النفس كاملة واصلة إلى كل معقول وهو ليس بحاصل في جميع الأحوال . وقالوا ان دعوى اتحاد شيء بشيء آخر على معنى استحالة الاول الى الثاني قضية شعرية غير معقولة فلا يصح النظر فيها . وأما استحالة النفس الى العقل الفعال فلم يقل به أحد

فقد عرفت من هذا ان اتصال النفس بالعقل الفعال ليس معناه الفناء فيه أو الاندغام كما عرفته الجامعة بل معناه ان ترتفع النفس بقواها عن ظلمة الطبيعة بما يكون لها من الاستعداد وتنجذب نحو العالم الاعلى ، فتشرق فيها المعلومات بمحاذاتها لمطلع ذلك النور الاجلى ، فهل مع هذا يصح أن ينسب الى الفيلسوف ما عده غير معقول؟؟ قال الفيلسوف وشيخته: ان النفس الناطقة التي هي موضوع ما للصورة المعقولة غير منطبعة في جسم تقوم به بل هي جوهر عاقل ذو آلة بالجسم فاذا استحال الجسم عن أن يكون آلة لها وحافظا للعلاقة معها بالموت لم يضر ذلك جوهرها بل تكون باقية بما هي مستفيدة الوجود من الجواهر العقلية . فالنفس بعد مفارقتها للبدن باقية على استقلالها لا تعدم شخصيتها بالفناء في شيء سواها لا عقل فعال ولا وجود واجب، وهي تسعد بكاملها العلمي والادبي الذي

حصلته مدة تعلقها بالبدن . وجوز الفيلسوف أن تتعلق بعد فراقها
 للبدن بحسب آخر من عالم آخر تتخيل فيه ما هو لذتها . وتشقى بجهلها
 ورداءة ملكاتها . فالنفس عند الفيلسوف باقية خالدة . خلودها
 خلود لشخصها المميز من كل شيء سواها سواء كان عقلا فعلا أو غيره
 فهل بعد هذا يعد الفيلسوف ماديًا ومذهبه مذهبًا ماديًا قاعدته
 العلم؟ لا بل هو إلهي ومذهبه مذهب إلهي قاعدته العلم قائل بخلود
 النفس وسعادتها وشقاؤها وعذابها ونعيمها كما رأيت

ما نقله فلاسفة أوروبا عن ابن رشد

بقي علينا أن نشير إلى ما نقله فلاسفة أوروبا عن الفيلسوف
 الجليل ابن رشد في مبدأ العالم ومصدر وجوده . قالوا : لم يكن يعرف
 العلم والفلسفة عند الأوربيين إلا في مدارس المسلمين في إسبانيا
 فكان يقصد تلك المدارس طلاب العلم من كل ناحية . كان يجلس في درس
 الفيلسوف عدد عظيم . لم تات نهاية القرن الثاني عشر (الميلادي)
 إلا وقد انتشر بين المشتغلين بشيء من العلم رأي زعزع طمأنينة الكنيسة
 وأفزع القابضين على مفاتيح القلوب بذلك الوقت الواقفين على أبوابها
 يأذنون لما شاؤوا من العقائد والافكار أن يدخل فيها ويتردون عنها
 ما شاؤوا . ذلك الرأي الذي أخذ يتسرب إلى القلوب رغم حجابها
 هو أن الكون أجمع يرجع في وجوده إلى واحد هو حياة الكل

وهو روح يقوم به كل جزء منه . وقالوا : ان الذي نشر هذا المذهب بين الناس هم تلاميذ ابن رشد ففهم بعض علمائهم أن ابن رشد كان يقول ان مبدأ العالم هو أصل عرضت له صور العالم أو روح ظهر في مظاهر الكائنات كما يقول الصوفية أو نحو ذلك . واستتبع هذا رأيا آخر وهو ان كل صورة من صور الموجودات اذا بطلت فانما تعود الى اصلها وهو الوجود المطلق . وظن الواهم أن الارواح تعود بعد مفارقة الاجسام ، الى مشرقها العام ، وتفقد امتيازها فيه . وذلك كله — وان ذهب اليه بعض النظائر من الاوربيين — غير ما يقول ابن رشد . وأما ما يقول ابن رشد فهو ما ترى :

قال ابن رشد وكل من تابعه على رأيه ولم يخالفوا في ذلك أرسطو : ان الممكن لا وجود له في ذاته وانما يستفيد الوجود من غيره ، وقد كانوا قالوا ان جميع ما في الكون ما عدا واجب الوجود المبرأ من المادة وغواشيها فهو ممكن ، فكل ما في العالم فهو مستفيد الوجود من غيره ، فذلك الغير ان كان ممكنا فكيف يعطي الوجود وهو لا وجود له الا من غيره فاذا استمد منه مستمد فانما يستمد من فضل ذلك الوجود الذي جاءه من موجدته الى أن ينتهي الى الوجود الاول ، فكل وجود سطع على الممكنات فهو فائض من وجود الواجب فلا وجود الا من وجوده ، أو كل وجود فهو شعاع لضياء وجوده ، فاذا حرر المعنى من هذا على وجه أمكن عند العقل وجدته يرجع الى ما

قاله السيد الشريف من أئمة أهل السنة وغيره وهو
«ان الممكن ليس بشيء في ذاته ثم يكون شيئاً بالايجاد .
والايجاد لو حقيقته أمر اعتباري انتزاعي له منشأ في الواقع وذلك
المنشأ هو ذات الموجد وماهية الموجود الممكن التي صارت شيئاً بتلك
العلاقات الاعتبارية بينها وبين موجدها وهي ما يسمونه تعلق
القدرة بالمقدور . وماهية الممكن ليست بوجود ولا الوجود أمر
موجود قائم بها . فإذاً ليس من وجود في نفس الامر الا وجود
الواجب فكان الوجود الحقيقي واحداً وسائر ما يسمى وجوداً أو
موجوداً فانما ينال ذلك بالاضافة الى الوجود الحقيقي . وأولى بالتسمية
أن تكون مجازية من ان تكون حقيقية»

مع ذلك لا يزال صاحب هذا القول يعتقد بتجرد الواجب
عن المادة والمدة الا ان من تلقفه منه توسع فيه حتى كان من ذبوله
رأي القائلين بأن الموجد الاول روح سار في العالم واليه يرجع كل
أشخاصه لفناء شخصيتهم فيه وما هو برأي ابن رشد ولا يعرفه
على ان الصوفية وهم المصرحون بوحدة الوجود المعبرون بالشهود
أولاً والفناء آخر الناطقون في ذلك بما لم ينطق به احد سواهم لم
يقولوا بزوال هويات النفوس زوالاً حقيقياً، بل قالوا انها خالدة بعد
مفارقة الابدان واكبتها تسعد في خلودها، باستغراقها في شهودها ،
وذهولها عن كل ما يشغلها عن مصدر وجودها ، فهي غنية بعرفانه

عن معرفتها بنفسها ، وهو ما يعبر عنه بالفناء ولذته ، وهو معنى تقصر
دون إيضاحه العبارات ، وان كفى في تعريفه لاهله أخفى الاشارات
ولعل الجامعة لا تعجب على الكاتب فيما كتب ؟ وفيما أجب
به من طلب ، فقد وفي حقا لها لو أغفله مع علمها بالقدرة عليه ،
لحق لها أن توجه العتب اليه

هذا ما اردنا يجاز القول فيه متعلقا بفلسفة المتكلمين ورأي
الفياسوف وسنتبعه بمقال آخر فيما حكمت به الجامعة من الكلام ،
على الاضطهاد في النصرانية والاسلام ، ان شاء الله تعالى اه

﴿ تم المقال ﴾

﴿ تنبيه بعد تنبيه ﴾ ان بحث الاضطهاد في النصرانية والاسلام
هو الذي سميناه (الاسلام والنصرانية ، مع العلم والمدنية) واجازته
الكاتب عليه ، رحمه الله تعالى

* تأثير هذا المقال وتقريره *

يقول جامع هذا الكتاب ونشره : كتب هذا الامام الكبير مقالة في أيام معدودات ، فجاء كما ترى آية من الآيات البيّنات ، ولقد كان لنشره من التأثير في عالم العلم والدين ، ما لم نره لكلام أحد من الكتّابين ، طارت به اغتباطا قلوب المسلمين ، ولم يبخسه حقه فضلاء المسيحيين ، ورددت صدها المنعكس عن المنار ، بعض الجرائد في مصر وغيرها من الاقطار . قالت جريدة الوطن القبطية الغراء بعدما ذكرت انتقاد الجامعة في عدد ١٣ : ٢٤ « فهب المنار الاغر ينشر بالتوالي ردا مفحما طويل الاذيال لامام تعني كنيته عن التصريح باسمه . ضمنه تفنيد أقوال الجامعة بحجج دامغة قوية يأتي بالواحدة ثم يعقبها بالشرح والتطويل من التاريخ تارة وأقوال العلماء أخرى . ولا يزال المؤيد الاغر حتى الساعة يردد صدى هذه الفصول وإذاعة محتوياتها . والرد كما قلنا قوي الحجاج ، متين العبارة ، لم يسبق فيه واضعه عالم قديم أو حديث » اه المراد منه

وجاء في العدد ٣٢٤ من جريدة المناظر المفيدة التي تطبع في سان باولو (البرازيل) وصاحبها من فضلاء السوريين المسيحيين بعد ذكر نقد الجامعة والرد عليه : « وقد طالعنا رده في مجلة المنار ورأينا

في قسم الرد الثاني أي الكلام على أية الديانتين أكثر تساهلا للعلم حججا حرية بالاعتبار، ورأينا أنه من المفيد أن يطلع المسيحي على رأي امام مسلم عصري في المسيحية فاخترنا نقله « ثم طفقت هذه الجريدة تنقل هذا المقال فصلا فصلا . وقد رأينا في آخر عدد وصل اليها منها مقالة وجيزة لاديب مسيحي ذكر فيها انتقاد الجامعة ثم قال : « رد عليها الرجل الاسلامي العصري بل رجل الاسلام في هذا الزمان ردا أثبت به أن الكنيسة المسيحية لم تتساهل قط للعلم والفلسفة فيستطاع أن يقال ان انتصار العلم في أوروبا دليل على كون المسيحية أكثر من الاسلامية تساهلا، ووعده ببيان (لم يصلنا بعد) يرجع به انتصار العلم في أوروبا الى أسبابه الحقيقية . فهل أصاب صاحب الجامعة في جعل تساهل المسيحية سببا لانتصار العلم في أوروبا؟ إذا كانت الكنيسة المسيحية لم تتساهل بل اضطهدت العلم اضطهادا فالجواب « كلاً لم يصب صاحب الجامعة » ثم ذكر الكاتب أن سبب القوة والعلم في أوروبا يرجع الى طبيعة البلاد وما عرض عليها من ضيقها بسكانها الخ

وكتب اليها عالم مسيحي من سورية تعتد الجامعة برأيه وتفضله على أقرانه بحق ما نصه : « ما أسمى ما كتب الامام في العديدين الاخيرين من المنار . يحق لنا أن نفتخر به المسلمون والنصارى معا . لا تحمروا الفخر فيكم أيها المسلمون بل فاسمحوا لنا ان نشارككم

كما يشارك البروتستانت الكاثوليك في انكسار بالفخر بأحد علماء بريطانيا « وكتب اليها غيره بمعنى ذلك وان كان بعضهم انتقد بعض ما كتب في النصرانية وقال ان تلك الذنوب للكنيسة لا للدين المسيحي نفسه . ونحن المسلمين نقول بذلك ، نقول ان الصورة التي انقلبت اليها ديانة المسيح عليه السلام هي التي نشأ عنها ما تقدم ولو ظلت كما جاء بها المسيح لما كان شيء من ذلك

أما صاحب الجامعة فقد خيب حسن ظننا فيه ، ولم يرض باعتذارنا عنه بل أصر على طعنه بالاسلام ، وأضاف اليه الطعن بنا وبالامام ، فرددنا عليه في المنار غير مرة ، ثم مرت ثلاثة أشهر بعد ذلك وهذا شهر رابع ولم تصدر الجامعة فنعلم هل هي مصرة على الخصام ؟ أم ثابت الى الوفاق والوئام ؟ والذي هو اولى بها في دار الاسلام ومن لطيف الاتفاق أنه بعد ما كتب هذا المقال كله ونشر الكثير منه ظهر كتاب انكليزي فيه مقالة للكاتب انكليزي اسمه (مستر كوربت) يدافع فيه عن الاسلام ويشهد بفضله . فجاء قوله شاهدا لما كتب الكاتب عن تسامح الانكليز وتساهلهم

ونختم هذا التقرير بأبيات أبيات من نظم أحمد أفندي الكاشف

الشاعر المشهور بالاجادة يقرظ بها المقال مخاطبا لكاتبه وهي

سلاما حجة الاسلام فينا ورضوانا رجاء المسلمينا

عنيت بما كتبت فكان وحييا يؤيد وحي ملهك الميدينا

فلم تترك لمتهم مكانا
 فما بطل يخوض الحرب فردا
 جهاداً في سبيل الله يفدي
 بأبقى منك آثارا وذكرنا
 وكان يراءك المنصور سيفنا
 ملكت به معاقل عاليات
 وماض الضلال الخلق حتى
 فرقنا بالمكابر قد كفاه
 ودعه في تأمله عساه
 فلو سلكت ملوك الشرق يوما
 تمادى الحق متبعا مصونا
 وعاش التاج مؤتلقا رهيبا
 ومثلك لو تحكم مستبدا
 يرى فيه المزاعم والظنونا
 فما يدعو بأخر مستعينا
 بمهجته المواطن أن تهونا
 وقدرنا في قلوب العالمينا
 وكان كتابك الدرع الحصينا
 نبت عنها سيوف الفاتحيننا
 نفعنهم وأوضحت اليقيننا
 مجادلة وأوشك أن يدينا
 يجيئك باعتراف المهتديننا
 سلوكك بيدنا دنيا وديننا
 وقام الملك ممتدا أميننا
 ودام العرش معتزا متيننا
 فقد ملأ الضمائر والعيونا

﴿ فهرس كتاب الاسلام والنصرانية ﴾

	صفحة
مقدمة ناشر الكتاب	٢
القسم الاول في النصرانية	
اضطهاد العلم والمدنية في النصرانية	٧
تقرير شبهة الجامعة على الاسلام	
الجواب الاجمالي عن شبهة الجامعة	٩
» » التفصيلي	١١
نفي القتال بين المسلمين لاجل الاعتقاد	١٢
تساهل المسلمين مع أهل النظر من كل ملة	١٤
طائفة من الحكماء والعلماء . الذين حظوا عند الخلفاء	١٦
المقصد من القسم الاول	
طبيعة الدين المسيحي وأصوله	٢١
الاصل الاول للنصرانية الخوارق	٢٢
» الثاني » سلطة الرؤساء	٢٣
» الثالث » ترك الدنيا	٢٤
» الرابع » الايمان بغير المعقول	٢٦
» الخامس » كون المكتب المقدسة حاوية	(٢٧)

كل ما يحتاج اليه البشر في المعاش والمعاد	
٢٨ الاصل السادس للنصرانية التفريق بين المسيحيين وغيرهم	
٢٩ نتائج هذه الاصول وآثارها	
٣١ مبحث إحراق كتب البطالسة و لمصريين بالاسكندرية	
٣١ قتل هيبياتي الرياضية المصرية	
٣٣ مقاومة النصرانية للعلم	
٣٥ مراقبة المطبوعات ومحكمة التفتيش	
٣٨ اضطهاد المسيحية للمسلمين واليهود والعلماء عامة	
٤٠ مقاومة الكنيسة للحقن تحت الجلد	
مقاومتها تسهيل الولادة والسلطة وحرية الاعتقاد	
٤١ مقاومتها الجمعيات العلمية والكتب	
٤٣ البروتستانت أو الاصلاح	
٤٤ الفصل بين السلطتين في المسيحية	
٤٦ اعتقاد المسلمين في المسيح والمسيحية	
<hr/>	
القسم الثاني في الاسلام	
٤٨ طبيعة الاسلام مع العلم بمقتضى أصوله	
تمهيد للاصل الاول في بيان دعوتي الاسلام	
٥٤ الاصل الاول للاسلام النظر العقلي لتحصيل الايمان	

٥٤	الاصل ٢ للاسلام تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض
٥٥	» ٣ « البعد عن التكفير
٥٦	» ٤ « الاعتبار بسنن الله في الخلق
٥٩	» ٥ « قلب السلاطة الدينية
٦١	السلطان في الاسلام
٦٥	الاصل ٦ للاسلام حماية الدعوة لمنع الفتنة
٦٦	مقابلة بين الاسلام الحربي والمسيحية السلمية
٧٠	الاصل ٧ للاسلام مودة المخالفين في العقيدة
٧١	» ٨ « الجمع بين مصالح الدنيا والآخرة
٧٢	وفيه بحث الصحة والرخص وابعاح الزينة والطيبات والاقتصاد
٧٥	والنهي عن الغلو في الدين
٧٦	نتيجة عامة ذاتية
٨٠	نتائج هذه الاصول وآثارها في المسلمين
٨٢	اشتغال المسلمين بالعلوم الادبية ثم العقلية في الصدر الاول
٨٣	اشتغالهم بالعلوم الكونية في القرن الثاني
٨٤	انشاؤهم دور الكتب العامة والخاصة
٨٥	انشاؤهم المدارس للعلوم وكيفية التدريس
٨٨	علوم العرب واكتشافاتها

صفحة

٩٤ أخذ الخلفاء والامراء بيد العلم والعلماء

٩٥ ازالة شبهتين وبيان حقيقة الاضطهاد

القسم الثالث في المسلمين

٩٩ الاسلام اليوم — أو الاحتجاج بالمسلمين على الاسلام

١٠٦ رأي رنان الفيلسوف الفرنسي في الاسلام

١٠٧ الجواب عن الاحتجاج

١٠٨ جمود المسلمين وأسبابه

١١٣ مفسد هذا الجمود ونتائجه

١١٣ جناية الجمود على اللغة

١١٥ » » » النظام والاجتماع

١١٨ » » » الشريعة وأهلها

١٢١ » » » العقيدة

١٢٥ الجمود وتمعن المدارس النظامية

١٢٦ جمود تلامذة المدارس الاجنبية

١٢٧ » » » الرسمية والاهلية

القسم الرابع في العلم والدين ومستقبل الاسلام والمسلمين

١٢٩ الجمود علة نزول

١٣٨ حرية العلم في أوروبا الآن . ونسبتها الى الماضي والحاضر

في الاسلام

- ١٣٩ اقتباس مدينة أوربا من الاسلام . وأسباب ظهورها التام
١٣٩ السبب الاول للجمعيات
١٤١ » ٢ الضغط الديني
١٤٢ » ٣ الثورة
» ٤ ترك المسيحية
١٤٤ عود الى سماحة الاسلام
١٤٧ ملازمة العلم للدين . ودعوى التعصب في المسلمين
١٤٩ إهمال آثار السلف . وحال علوم الدين وطلابها
١٥١ متابعة العلم الاسلام ومباينته لسواه
١٥٣ الدعاة في الاسلام
١٥٤ المقلد دون المقلد — مقابلة بين المسلمين والمسيحيين
١٥٥ الاصلاح والمصلحون
١٥٧ الفريق بين التخصيبين
١٥٩ رأي هانوتو الاخير في معاملة المسلمين
١٦١ سياسة الانكليز في التسامح
١٦٢ خاتمة المقال
١٦٤ ترجمة ابن رشد
١٦٥ تمهيد لمقالة الاستاذ الحكيم

المادة وخلق العالم

١٦٦ اتصال الكون بالخالق

١٦٨ طريق الاتصال

١٧٠ الخلود

دفع وهم عن فلسفة ابن رشد

والمتكلمين لاستاذ حكيم وفيلسوف عليم

١٧٢ فلسفة المتكلمين وآراؤهم في الوجود

١٧٧ خاتمة

١٧٨ فلسفة ابن رشد ورأيه في المادة

وخلق العالم

المادة وخلق العالم

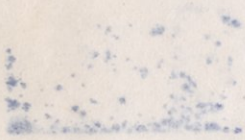
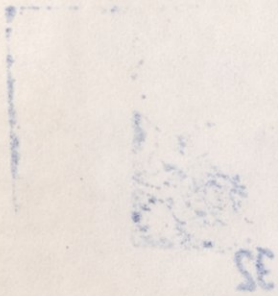
١٨٠ تصوير مذهب الالهيين

١٨٢ طريق الاتصال

١٨٧ ما نقله فلاسفة أوروبا عن ابن رشد

١٩٠ تنبيه بعد تنبيهه

١٩١ تأثير هذه المقال وتقر بظه



1897 1097



32

1775

5 MAY 1987

BP
163
M82
1922

